

الوصايا الأربعون

الشيخ حبيب الكاظمي

الوصايا الأربعون

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على محمد وآله الهداة الميامين هداتنا في الدنيا
وشفعاؤنا في العقبى... أما بعد:

فهذه مجموعة من الأربعينيات كُتبت في فصول مختلفة،
تيمناً بعدد الأربعين الذي له شواهد على قدسيته في الكتاب
والسُنَّة، وقد جعلت هذه الأربعينيات منوعة في عناوينها:

فمنها ما يتعلق بـ (النفس) ضمن وصايا محدّدة، لعلمنا بأنّ
التركيز في الحلّ والعلاج يعين الاستفادة على تلمّس الطريق
بشكل أوضح وأيسر.

ومنها ما يتعلق بـ (الحياة الزوجية) لعلمنا بأنّ الاستقرار
الأسري يعين على الاستقرار النفسي، وبالتالي يعين العبد على
تحقيق هدف الخلقة، المتمثّل بالعبودية الجامعة لله تعالى في كل
شؤون الحياة.

ومنها ما يتعلق بـ (آداب الصوم الباطنية) لعلمنا بأنّ الشهر
الكريم هبة من الله تعالى في مقابل هبة العمر كله، وذلك لأنّ

فيها ليلة هي خير من ألف شهر، وهذا المعنى يتكرّر في كل عام فكان ينبغي التذكير المركز في هذا المجال.

ومنها ما يتعلق بـ (آداب الحج الإبراهيمي) لعلمنا بأنه سفر روحي إلى الله تعالى بموازاة السفر الجسمي، ومن لم يتعلّم لغة الرمزية في الحجّ فإنه من الممكن أن يرجع منه خالي اليدين من جهة الآثار الباطنية.

ومنها ما يتعلق بـ (إحياء ذكر نهضة الحسين عليه السلام) لعلمنا أن هذه المجالس تكريس لموالاة العترة التي أمرنا بحبّها بل بمودّتها، إضافة إلى ما تكتنزه هذه المجالس من أنواع البركات العلمية، وما يترشح منها من البركات العملية.

ومنها ما يتعلق بـ (الإداب الباطنية لزيارة المعصومين عليهم السلام) لعلمنا أن على رأس إحياء أمرهم هو التشرفّ بزيارتهم، والذي يعدّ اعتكافاً روحياً ذهاباً وإياباً واقامة في مشاهدهم الشريفة، وهذا الإحياء كان ولا يزال من موجبات إعلاء ذكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تزداد توهّجاً مع مضي الأيام.

وأسال الله تعالى أن يوفّقني للمزيد من الكتابة من هذه الأربعينيات في فصول أخرى، فإنّ لغة التركيز والاختصار باتت أكثر جدوى في عصر انشغل الكثير بأمر دنياهم، والتي سلبتهم الكثير من التركيز فيما هو أهمّ لهم وألزم.

حبيب الكاظمي

العاشر من ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ

الوصايا الأربعون في السَّير إلى الله تعالى

١ - إخلاص النيّة

إن إخلاص النيّة في كل قول وفعل، أساس لمرضاة الربّ المتعال.. وينبغي البحث عن كل دواعي الشرك الخفي في العبادة، فمن تلك الدواعي الخفية:

- تحقيق الذات.

- الإحساس باللذّة بما لا يستند إلى رضى المولى.

- التخلّص من المشاكل الخاصة في الحياة، لا رغبة للتفرّغ للعبودية، بل لمجرّد الدّعة والراحة.

ومن المعلوم أنّ التخلّص من الشوائب بجميع أقسامها، يحتاج إلى البصيرة بالنفس أولاً، وبتلك الشوائب ثانياً.. وذلك مما لا يوقّق له، إلا الذين دخلوا دائرة الرعاية الإلهية المباشرة.

٢ - وضوح الخطة والجدادة

إن وضوح الخطة والجدادة أمر لازم للسائرين، فما لم تكن الخطة واضحة في مقدماتها ونهاياتها، وما لم يعلم السائر بالعوائق والموانع، فإن كل شبهة في الطريق، تجعله يتقهقر إلى

الوراء، حيث انتقام الشياطين التي تغيظها حركة السائر إلى الله تعالى، فتصادر المكتسبات الماضية، مع عدم السماح لمحاولة جديدة.

وعليه، فإنه يلزم على السائر إلى الحق المتعال، أن يتمثل في نفسه عملية السير التكاملي في الأنفس، كما يتصور عملية السير المكاني في الآفاق، إذ هناك:

- زاد لا بد أن يتزوّد به قبل السفر.
- منازل لا بد أن يتعرّف عليها في سفره.
- رفقة طريق لا بدّ أن يختارهم على بصيرة.
- عقبات وموانع تعترضه.
- أعداء وقطاع طرق يتربّصون به الدوائر.

٣ - لزوم التحلي بالصبر

إنّ الاعتقاد بلزوم التحلي بالصبر في الوصول لبعض مدارج الكمال، تدفع عن صاحبها حالة اليأس.. فالعجول في قطف الثمار، ليست لديه القدرة على مواصلة الطريق ذات الشوكة، ومن هنا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

٤ - التدبير والتقدير

إنّ معنى (الحوقة) هو التبرّي من كل حول وقوة إلّا حوله وقوّته تعالى.. وهذا لا ينافي السعي البشري في تحقيق النتائج، فعلى العبد التدبير، ومن الحق المتعال التقدير.. فالإمداد الغيبي

خير رفيق في الطريق، ولطالما أخذ بيد السائرين، وخاصة الصادقين الذين لم يدخلوا الدين استمزازاً واختباراً.. ولكنه مع ذلك ينبغي عدم الركون للمدد الغيبي، فذلك من شؤون الحق، ولا يُعلم وقته وسببه بشكل قاطع.. فعلى الزارع أن يعتمد على ما يستخرجه من الماء، لا على ما ينزل من الغيث.

٥ - الشمولية والموازنة

ينبغي مراعاة الشمولية والموازنة في العمل بكل حذافير الشريعة، فلإسلام أحكامه: الاجتماعية والفردية، والبدنية والمالية، والعلمية والعملية.. فلا ينبغي التحيز إلى جهة على حساب جهة أخرى، وإلا كان صاحبها ممن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فينمو عنده جانب بشكل غير متوازن، وعندها يقع في دائرة الإفراط والتفريط، كما حصل لكثير من السائرين في درب الهدى.

٦ - الكذب في التقرب

إن ارتكاب الحرام المتعمد - ولو في أدنى درجاته - يعكس حالة عدم الصدق في التقرب إلى الحق المتعال؛ فكيف يمكن التقرب إلى من نتعرض لسخطه بشكل متعمد؟!.. وخاصة مع النظر إلى مبدأ: لا تنظر إلى صغر المعصية، وانظر إلى من عصيت.

وقد أمرنا أن لا نحترق عبداً، فلعلّه هو الولي، ولا نحترق طاعة فلعلّها هي المنجية، ولا نحترق معصية فلعلّها هي المهلكة.

٧ - الأُنس بالقرآن

الأُنس بالقرآن الكريم: قراءة وتدبراً وتطبيقاً، من سمات الصالحين؛ إذ كيف يمكن قطع الصلة بكلام رب العالمين، وفيه تبيان لكل شيء، وشفاء لما في الصدور؟!.. إن الالتزام بالتلاوة الواعية، يوجب انفتاح أبواب المعرفة القرآنية الخاصة، وإن لم يكن صاحبها متوغلاً في علوم القرآن، فللقرآن إشارات ولطائفه ورموزه، وكل ذلك يحتاج إلى شرح الصدر، ومن عوامله ما ذكرناه من التلاوة الواعية.

٨ - عدم الإحساس بالتمييز

إنّ النجاح في بعض المراحل يهب صاحبه شعوراً بالتمييز والتفوق على الآخرين، وخاصة إذا كان يعيش مع من هو دونه في هذا المجال.. ومن هنا لزم أن نستحضر حقيقة أن الأمور إنما هي بخواتيمها، فكيف لنا إحراز الخاتمة الحميدة؟!.. كما لزم أن نستحضر حقيقة جهلنا بواقع الآخرين، فكيف لنا إحراز التفوق عليهم؟!.. إن هذا الإحساس بالتفوق - الذي لا مبرر له عقلاً ولا شرعاً - قد يوجب في بعض الحالات منع الهبات المدخرة للعبد، إضافة إلى سلب الهبات الفعلية، وهذا معنى الانسلاخ من الآيات، الذي وقع فيه أمثال بلعم بن باعوراء^(١).

(١) انظر فيض القدير، شرح الجامع الصغير، ج ٥ ص ٦٦٠. وتحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص ٣١١.

٩ - الكدح والمجاهدة

إنَّ السير في الطريق من دون كدح ومجاهدة، ضرب من ضروب الخيال يعيشه أصحاب الأمانى، ممن لا همّة لهم في الحياة.. فالذي يعشق الدعة والراحة، ويهوى موافقة جميع ما يجري لمزاجه وهواه، عليه أن يعلم أن الكدح والمجاهدة هو سُنّة الله تعالى في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.. ولو كان الإعفاء من ذلك لطفاً، لكان الأنبياء ﷺ أولى بهذا اللطف.

١٠ - تقوية البنية العلمية

إنَّ امتلاك البنية العلمية القوية، وخاصة في مجال: العقائد والفقه والقرآن والحديث والسيرة، نِعْم المعين لمعرفة ما أَراده المولى من عبده.. إذ إن مراد المولى في الجزئيات المرتبطة بالشريعة لا تُدرك بالعقول، بل لا بدّ من الاتصال بمبدأ الغيب، وذلك لا يتمّ إلا عن طريق أمناء الله على وحيه، وهم المعصومون من النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، وما خرج من غيرهم فهو زخرف يصدّ عن الحقّ.. أضف إلى أن هذه المعرفة، ضمان لعدم الوقوع في الهفوات المعهودة في مجال المعرفة النظرية، والتي تشكّل مقدمة للوقوع في المهالك العملية.

١١ - المزاجية في التعامل

ينبغي الاحتراز عن المزاجية في التعامل مع النفس ومع

الغير . . وعليه، فإنه لا يصحّ الترجيح بين أفراد الواجب، أو أفراد المستحب، أو بين أنواع المستحب، على أساس موافقة المزاج الذي قد يخلقه المرء - من تلقاء نفسه - في نفسه . . فإن الله تعالى يريد أن يُطاع من حيث يريد هو، لا من حيث يريد العبد . . ومن المعلوم أن الهوى إذا صار دافعاً وسائقاً للعبد، انقلب إلى إله يُعبد من دون الله عزّ وجلّ، وإن كان ما أمر به الهوى حسناً في حدّ ذاته . . وذلك كمن يحترف خدمة الخلق بدوافع ذاتية، فإنه لا يعيش أدنى درجات القرب الشعوري من الحقّ المتعال، إذ إنّ الحسن الفعلي شيء، والحسن الفاعلي شيء آخر .

١٢ - لزوم المشورة

إنّ المستبدّ برأيه: سواء في الجزئيات اليومية أو التعاملات السلوكية، أقرب إلى الخطأ والزلل من غيره . . فإنّ المشورة الواعية مع من يوثق بعقله وأمانته، ضمان لتقليل نسبة الخطأ في السير، وخاصة مع استلهم الحقّ في المشورة . . ومشاورة ذوي العقول المستنيرة بالأنوار الإلهية، إنما هي مشاركة لهم في عقولهم، ولطالما وفّرت على السالك تبعات تجارب الخطأ والصواب .

١٣ - حالات التذبذب

إنّ حالات التذبذب في الإقبال على الحقّ المتعال، بحسب الزمان والمكان والبيئة، أمر معهود ومتعارف في حياة العباد . .

والمهم في الأمر أن لا يتنزل العبد إلى ما دون المستوى المتعارف، حيث حالة الإعراض عن الذكر، بل النفور منه . .

والقرآن الكريم يشير إلى حالة المعية بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١) والتي لو تحققت في نفس العبد، لم يعيش حالة التذبذب الشديد في الخلوة والجلوة . . فعين الرقيب الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، لا تدع مجالاً لإهمال تلك الرقابة . . ومن هنا نرى العبد المراقب لا يتغيّر سلوكه في مواطن الطاعة أو مواسمها بشكل ملفت، وذلك لوحدة الملتفت إليه، وإن اختلف الزمان المكان.

١٤ - دور الصلاة

إن الصلاة لها دورها الأساس في عملية إعادة التوازن الذي قد يفترقه العبد، من موعد فريضة إلى موعد فريضة أخرى، إذ إن العبد بين الفترتين عرضة لكثير من الغفلات والخطايا، التي لو تراكمت لأطفأت ذلك النور الذي يتلمّس به الطريق . . ومن لا يُتقن الحديث مع الربّ الودود، بعيد كل البعد عن المراحل الخاصة بالتكامل . . ولو كان للحقّ التفاتة إلى العبد، لتحققت الالتفاتة من جانب العبد إلى الربّ، فهو- على رحمته التي وسعت كل شيء - لا يعبأ بغير الداعي؛ وما حال عبد لا يعبأ به سيده؟! .

(١) سورة الحديد: الآية ٤ .

١٥ - المراقبة الشديدة

المراقبة الشديدة في القول والفعل، ضمان أكيد لضبط السلوك في المجالين . . ومَنْ لا مراقبة له، لا يؤمن منه صدور الأخطاء الفادحة التي قد تستنزل غضب الربّ، بما قد يكون طارداً له عن أصل الطريق . . ولا نعني بالمراقبة المتقطعة العابرة، وإنما المراقبة الدقيقة الدائمة . . إذ إن العدو المتربّص لا يحتاج إلى غفلة مطبقة في كل الأوقات، بل تكفيه الغفلة في برهة من الزمان، ليصادر المكتسبات في ساعة اليقظة . . ومن الواضح أنّ عملية الكرّ والفرّ هذه، لا تدع السالك يتقدّم ولو قليلاً .

١٦ - الشكورية مع الحق والخلق

إن العبد الملتفت إلى نفسه، شكور في التعامل مع الخلق والخالق، تخلّقاً بأخلاق الربّ المتعال، ويتجلّى ذلك من خلال تقدير أي إحسان من أي أحد، وفي أي مجال . . ولهذا لا يمكنه التفريط بحقوق الأرحام، (وخاصة الوالدين)، وذوي الحقوق من المؤمنين . . فالتفريط بالحقوق، يعكس حالة الكفران الممقوت عند الربّ المتعال، والكفور مع الخلق لا يؤمن منه أن يكون كفوراً مع الحقّ المتعال .

١٧ - الاستغفار الدائم

الاستغفار ورد دائم للمؤمن، إذ إنه قاطع بأنه لا يؤدّي حقّ المولى كما يريد، في كل لحظة من لحظات حياته . .

وبذلك تنقلب لحظات الحياة عنده، إلى لحظات متكررة من التقصير مع الحقّ أو الخلق أو كليهما . . . ومن هنا يتعيّن الاستغفار المتواصل، مقترناً بالجدية والإنابة، لا إسقاط التكليف فحسب .

١٨ - التثاقل من الخلق

إنّ الأُنس بالحقّ - وخاصة في حالاته الشديدة - يهيئ العبد لحالة من التثاقل من الخلق، بدهاءة إن الألد يُشغل عن اللذيد، فكيف إذا فقد اللذيد لذته؟! . . . ولكن ذلك لا يعني حالة النفور والتعالي الذي يفوّت عليه واجباته الاجتماعية، إضافة إلى أن هذه الحالة نفسها من النفور سلبية في حدّ ذاتها . . . والعلاج الجامع لهذه الحالة: هو النظرة الطولية إلى ما سوى الله في جنب الله تعالى، إذ إن تلك الحالة من النفور، نتيجة طبيعية للإحساس بالندية بين المحبوب وما يُشغل عنه، فإذا لم يُعدّ الغير شاغلاً ما صار ندّاً، وإذا لم يكن ندّاً ما عاد منفوراً .

١٩ - الانشغال مع الغافلين

إنّ الانخراط في صفوف الغافلين والالتهاؤ بأباطيلهم، علامة واضحة لوجود حالة مرضية في النفس، جعلتها تألف أجواء الغافلين . . . ومن المعلوم أن معاشرة الغافلين، توجب تعدية الرذائل الخلقية بشكل تدريجي من دون التفات . . . أضف إلى أن مجالس الغفلة من مظان إعراض الحقّ بل غضبه، وماذا بعد إعراض الحقّ إلّا القسوة والضلال؟! .

٢٠ - الابتلاء من السنن

إنّ من سنن الله تعالى في عباده، هو الابتلاء في الأبدان والأموال والأنفس . . فمن ليست له القدرة على تحمّل الصعاب برضى وتسليم، فإنه سيعيش - شاء أم أبى - حالة السخط من قضاء الله وقدره، وهو كاف لشقاء العبد . . بل لا بدّ من ترقّي العبد من مرحلة التسليم والرضا، إلى مرحلة المحبة لما اختاره المولى الحكيم، وذلك بضمّ صغرى قرآنية مفادها: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(١)، وكبرى وجدانية مفادها: (وما كتبه الله لنا فيه صلاحنا)، فالنتيجة البديهية هي: أنه لن يصيبنا إلا ما فيه صلاحنا .

٢١ - لحظات الخلوة

لا بدّ وأن يكون للعبد لحظات من الخلوة يختلي فيها لنفسه مع ربّه، بعيداً عن زحمة الحياة والأحياء . . وجوف الليل من أفضل الساعات التي يمكن أن يحقق فيها هذه الخلوة، ليستعيد كتابة جدول حياته اليومي والفصلي والسنوي . . فإن الوصول إلى الله لا يُدرك إلاّ بامتطاء الليل . إن هذه الخلوات لمن أعظم موجبات تحقّق التجلّيات الإلهية، التي تقتلع العبد من عالم الملك إلى عالم الملكوت .

(١) سورة التوبة: الآية ٥١.

٢٢ - الرفق بالنفس

إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . . فإن القسوة في التعامل مع النفس والبدن وإجبارهما على بعض الطاعات من دون رغبة - ولو متكلفة - قد تُحدث ردة فعل في النفس، تجعلها تنفر من ثقل الطاعة، لتستذوق حلاوة المتع الرخيصة والفانية . . إن الالتزام بأوراد عبادية - سواء في عالم المناجاة أو التوسل - أمر مطلوب ولكن بشرط عدم التحميل الإجباري المنفر للنفس .

٢٣ - حلية المكسب والمأكل

إن حرص السالك على حليّة مكسبه ومأكله - وخاصة في زمن فشا فيه الحرام في كل أبعاده - ضروري لتحاشي الآثار السلبية للحرام الظاهري على الأقل، وإن كان السعي - قدر الإمكان - للتخلص من آثار الحرام الواقعي مطلوباً أيضاً . . فكما أن للغيبة ملكوتها (وهو أكل الميتة)، وللربا ملكوته (وهو التخبط من المسّ)، ولأكل مال اليتيم ملكوته (وهو أكل النار)، فكذلك للحرام المأكل والملبوس ملكوته الذي يعرفه أهله .

٢٤ - رعاية الولي الأعظم

إن الأرزاق المادية والمعنوية في عصر الغيبة يجريها الرازق على يدي وليه المنتظر عليه السلام، كما هو مقتضى النصوص المباركة . . وعليه فإن الارتباط به (صلوات الله تعالى عليه) عاطفة وعقيدة وسلوكاً، لمن موجبات مضاعفة تلك الأرزاق

ومباركتها.. إذ إننا نعتقد أن رعايته ﷺ للأمة كرعاية الشمس من وراء السحاب، ولا يعقل أن يهمل ولي الأمر وحجّة العصر تلك النفوس المستعدة التي تطلب الكمال بلسان حالها أو مقالها، وما تحقّق الفوز والفلاح في هذا المضمّار - طوال زمان الغيبتين - إلا لمن أتى هذا الباب بصدق، وتوجّه إلى ذلك الوجه بانقطاع.

٢٥ - التأثر الشعوري

إن التأثر الشعوري بمصائب أهل البيت ﷺ في مختلف المناسبات، من مصاديق التولي، وإحياء الأمر، ومودّة ذوي القربى.. وهذه العناوين لها دورها الحاسم في التسديد والمباركة، بشرط الالتزام بحالة التأسّي التي يفترضه الولاء والمحبة الصادقة.

إن مما لا شك فيه أن هذا التأثر - وخاصة العميق منه - لا يأتي من الفراغ، بل هو كاشف عن نوع ارتباط وتجانس مع تلك الأرواح الطاهرة.. ومن المناسب أن نوّكد في هذا المجال أن لا ينتظر الإنسان المواسم أو المجالس التي تحرك الإنسان في هذا المجال، بل يبتكر الأساليب المؤثرة في إثارة العواطف، وخاصة في الخلوات.

٢٦ - المحطات العبادية

يحتاج العبد إلى محطات عبادية متميّزة في كل عام، متمثلاً: بالحج، والعمرة، أو زيارة أحد المشاهد المشرفة، إذ فيها خروج

عن المألوف من الحياة المادية، إضافة إلى التعرّض للنفحات المركّزة في تلك المشاهد. . ولكن هذه الأجواء العبادية المباركة تعطي ثمارها الكاملة، عند الالتزام بشروطها كأية عبادة أخرى، فالتقصير في المعرفة النظرية لأصحاب تلك البقاع الطاهرة، أضف إلى الغفلة العملية أثناء التواجد في تلك المشاهد، مما يوجب الحرمان من الفيوضات المتاحة لمستزلي الفيض.

٢٧ - كتمان الحالات

كتمان الحالات الروحية المتميّزة عن عامة الخلق، من دواعي إبقاء تلك الحالات، إضافة إلى تجنب صاحبها من آفة الرياء المقترن بالعمل، أو العجب اللاحق للعمل وكلاهما من محبطات الأجر. . ولا ينبغي الخروج عن قاعدة الكتمان إلّا في ظروف استثنائية: كإخبار ذوي البصيرة في شؤون النفس وتقلّباتها، أو تشجيع طالبي الكمال بذكر بعض التجارب المشجعة في هذا المجال.

٢٨ - سِير الصالحين

مراجعة سِير الصالحين - وخاصة المتأخرين منهم - في العصور القريبة، يمنح العبد الأمل المشرق، وخاصة مع بداية حالات اليأس. . لأن هؤلاء الصالحين شقّوا دروبهم في ظروف مشابهة، من حيث المقتضيات والموانع. . ولا شك أنهم حجج على باقي العباد يوم القيامة، لئلا تبقى حجة للمتذرّعين: بجبر البيئة، ومقتضى الزمان، وغلبة الأقران. فالبعض يعفي نفسه من

التأسي بالمعصوم عليه السلام، بدعوة استحالة التأسي بهم؛ فليتأس بمن
يشارك معهم في الصفات البشرية المشتركة!

٢٩ - موجبات الالتئاء

تكثر موجبات الالتئاء في الحياة اليومية، سواء في مجال:
المسكن والملبس والمأكل، وهذا يكتف الحجب على النفس،
ويدفع العبد إلى حالة من اللاتركيز، في وقت يكون أحوج ما
يكون فيه إلى التركيز، في تقربه إلى المولى المتعال. إن
الروايات المختلفة تؤكد أنّ العبد في هذه الحياة، بمثابة ضيف
حلّ بدار وهو يعلم بالرحيل عنها بعد حين. . فهل رأينا عاقلاً
ينشغل بتزيين دار، وهو يعلم أنه سيرحل عنها في آية لحظة، من
دون سابق إنذار؟! .

٣٠ - الإكثار من القول

الإكثار من القول يعرض صاحبه للإكثار من الخطأ، وهو
بدوره من موجبات قسوة القلب وموته أخيراً. . فالصمت عمّا لا
يعني العبد، هو الحالة الطبيعية التي لا يؤاخذ عليها، بينما
الكلام يحتاج إلى دليل، وعندها يكتب العبد محسناً أو مسيئاً. .
وليُعلم أخيراً: أن موارد المؤاخذة على الكلام - يوم القيامة - لا
تُقاس بموارد المؤاخذة على الصمت.

٣١ - البرمجة الدقيقة

إن عصرنا يتسم بالتخطيط والبرمجة حتى في أبسط الأمور،

ولكن عندما يصل الدور إلى تربية أعقد كيان في الوجود، نرى البعض يتوقع النتائج الباهرة، من خلال: الفوضى والتسيب وقلة الصبر وعدم الإصرار والمواصلة، وغيرها من المعاني التي تضاد البرمجة.. فأمر المؤمنين ﷺ عندما يوصي بنظم الأمر، يريد نظم الأمر بمعناه الشامل لكل فروع الحياة.

٣٢ - الثمار المعجلة

قد يصادف العبد في سيره إلى الحق المتعال، بعض البركات الظاهرية المتصلة بعالم الغيب، وقد تكون هذه - إذا لم تكن وهماً - بعض الثمار المعجلة؛ تشجيعاً لصاحبها على السير.. إلا أن العبد الملتفت، عليه أن لا ينشغل بها، لأنها ليست من العبودية في شيء، فهمّ العبد أن يصلح ما بينه وبين ربه، ولا يهمله ما العطاء بعد ذلك.. إذ التدخل في شؤون الربّ الحكيم، نوع من سوء الأدب الذي قد لا يُغفر لصاحبه، وخاصة إذا كان في المراحل العليا من التكامل.

٣٣ - خبرة الشيطان

إن الشيطان أخبر الخبراء في إغواء العباد، وهو العالم بنقاط ضعف كل عبد تفصيلاً، لأنه واكب حياة العبد من أولها إلى آخرها.. وعليه، فعلى العبد أن يكتشف نقاط ضعفه بنفسه، سواء في مجال الشهوة والغضب أو غيره، ليقطع الطريق على العدو الذي أقسم بعزة الحق على إغواء الجميع إلا المخلصين، وأين هم؟!.

٣٤ - النوافل والجماعة

إن النوافل اليومية - وخاصة صلاة الليل - وكذلك صلاة الجماعة، من المستحبات التي قلما ورد التأكيد في مستحب مثلهما. . ومن هنا لزم الالتزام قدر الإمكان بهذين النديين، إذ إنهما من موجبات النظرة الإلهية الخاصة بالعبد، ولطالما يحتاج العبد إلى هذه النفحات التي توجب له الطفرة في السير. . إن التواجد في الأماكن التي تمارس فيها الطاعة بشكل جماعي، من مصاديق استنزال الرحمة، التي قد لا تنزل في الحالة الفردية لممارسة العبادة.

٣٥ - طول الأمل

طول الأمل من روافد الخسارة الكبرى، فإن المتبقي من العمر وإن بدا للوهلة الأولى طويلاً، إلا أن كرّ الليل والنهار، يطوي صفحة الحياة بسرعة، وخاصة أن فرص التعالي الروحي، تزامن فترة النشاط البدني، وهي المرحلة المتوسطة من العمر. . نعم في المرحلة المتقدمة من الحياة، تتم عملية التنضيج والتثبيت لما قد بُني أساسه في المرحلة السابقة. . وقلّما وجدنا حالات الطفرة والإنابة واليقظة في المراحل المتقدمة من العمر، بل الشيطان يمسح على وجهه - بعد تكاثر الذنوب - قائلاً: «هذا وجه لا يفلح أبداً».

٣٦ - التكامل للجميع

إن من الخطأ الفادح أن نحصر السعي المرکز لحيازة رتب

العبودية العالية بفتة من الناس؛ فإنّ الحقّ المتعال وعد بعدم تضييع عمل عامل من ذكر أو أنثى.. فالمهم أن يكون العبد عاملاً لا خاملاً، والشريعة إنما جاءت لتكامل الجميع.. فالتلقين النفسي أن العبد دون مستوى حتى التفكير بهذه الأمور، من السبل الشيطانية لتثبيط العبد.. والتاريخ يعرض لنا صوراً بليغة من التكامل سواء عند: النساء أو الرجال، الأحرار أو العبيد.

٣٧ - توزيع الاهتمام

إن التفكير في المشاكل اليومية، يوزّع اهتمام العبد كثيراً.. والحلّ الأمثل في مثل هذه الحالات، هو تفويض الأمر إلى الخير القدير، مع عدم الإتيان بما ينافي رضاه في المجال الذي فوّض الأمر إليه على الأقل، فهو الذي يرزق بغير حساب، وهو الذي يجعل للعبد المخرج بما لا يخطر على البال.. فالاضطراب النفسي تجاه أمور الدنيا والمعاش، لا يدع مجالاً للتركيز الشعوري والذهني لما يعود إلى المبدأ والمعاد، وخاصة بعض المشاكل التي تشكّل عنصر توتر دائم في الحياة: كالمشاكل الزوجية والعائلية والاجتماعية.

٣٨ - مرور الفرص

إن الفرص تمرّ كما تمرّ السحاب، فقد تمرّ على العبد فترة تفتح فيها شهيته لبعض الموائد الربّانية، ولكن عدم التزوّد وعدم الإقبال على الرزق المعنوي، يزيل الشهية أولاً، ثم يوجب رفع

المائدة ثانياً إلى غير رجعة . . ومن المؤسف في هذا المجال أن العبد قد لا يلتفت أصلاً إلى هذه الفرص، فلا يشعر بها إلا بعد مرورها! .

٣٩ - قضاء الحوائج

إن من موجبات ممة الحقّ على عبده، هو الاهتمام بحوائج العباد الذين هم عيال الله تعالى، وإدخال السرور عليهم، سواء فيما يتعلّق بالمادة أو المعنى، ومن المعلوم الأثر الأعظم لإدخال السرور على الملك الحقّ المبين . . وعلى العبد أن يسعى للتعرف على حوائج الخلق، قبل ابتلائهم بذلّ السؤال . . ومن اللازم هنا الالتفات لعظمة تأثير تفرّيج الكروب عن النفوس، في شرح الصدور .

٤٠ - هداية الآخرين

لا ينبغي الانشغال بالنفس عن الغير، وكذلك العكس، فالكثيرون لا يعرفون أوليات الشريعة في حلالها وحرامها، فشكر نعمة الهداية يقتضي الأخذ بيد من يمكن هدايته، وعلى الخصوص الأقربين . . فمن أفضل سبل التقرب إلى الحقّ المتعال، هو تحبيب العباد إليه تعالى: بذكر آلائه ونعمه، ومن ثم تخليصهم مما تورّطوا فيه من موجبات البعد عن الحقّ المتعال .



الوصايا الأربعون في الحياة الزوجية السعيدة

المقدمة:

إن من أقدس المشاريع وأكبرها، وأجلها خطراً على مسيرة الأمم والأفراد، هو تكوين ما يسمّى بـ (العش الزوجي) الذي يتفرّع عليه - على مدى القرون المتمادية - ترعرع آلاف من الأجيال البشرية التي قد تكون حصيلة زواج واحد، كالمليارات البشرية التي عاشت على وجه الأرض، كبركة للزواج الأول، المتمثّل بزواج أبونا آدم وحواء.. . ولطالما اتفق أن أثمر فساد العلاقة بين زوجين محدّدين - وما يترتب عليها من فساد التربية - انحراف جيل بشري كامل، أوجبت بعض الكوارث التاريخية، ولطالما سجّل التاريخ بعض تلك الكوارث.

وعليه، فليس من بدع القول أن ندعو إلى ضرورة وجود دورات تخصصية - مقروءة أو مسموعة - لمعرفة رموز هذه العلاقة (المقدسة والمعقدة) في آن واحد.. . ومن المعلوم أن أسرار اقتران روحين متفاوتين، لا تُدرك إلا بالملاحظة الدقيقة، التي قد لا يلتفت إليها الزوجان، إلا بعد فوات الأوان، وفقدان التحكّم في سير الأمور، يؤدّي إلى تفسّخ العلاقة بين الزوج

والزوجة من جهة، وبينهما وبين الأولاد من جهة أخرى. وعليه، فلا بدّ من نقل ثمرات تجارب الخطأ والصواب، وما يُستفاد من الروايات والأخبار، لتحكيم أو اصر تلك الحياة الكريمة.

فإلى صاحبي ذلك (العش السعيد) أهدي بعض هذه النقاط:

١ - واقع الزواج

الالتفات إلى أن واقع الزواج، هو التزاوج بين النفوس، لا الأبدان فحسب.. فإن الآية الكريمة تفيد أن الغاية هي السكون، وأن المَجْعول هي المودة والرحمة، ولم تنطرق للعلاقة البدنية بشكل مباشر، وإن كان إشباع الجانب الغريزي من موجبات السكون أيضاً.

ومن هنا يُعلم أن التزاوج النفسي، يحتاج إلى بلوغ خاص، وأن عدم الوصول إلى مرحلة الرشد والبلوغ النفسي في هذا المجال، قد يكون من موجبات انتكاس الحياة الزوجية، حتى عند الالتزام ببعض الظواهر الشرعية.. إذ إن الالتزام الشرعي التقليدي، قد لا يلازم حتماً مرحلة الرشد والبلوغ النفسي في هذا المجال، وقد أفردت كتب الحديث أبواباً واسعة لقيمة العقل (الذي يمثّل رصيد الرشد والبلوغ) في قُرب الإنسان من الحقّ المتعال، بل نجاحه في حياته الدنيا والأخرى.

٢ - المرأة تُطلب لأُمور

إن المرأة تُطلب عادة لأُمور، منها: الاستمتاع الغريزي،

وتدبير شؤون المنزل، والتناسل، والأنس والارتياح النفسي. . .
ومن المعلوم أن الأول يقلّ عنفوانه بتقدّم العمر والأفول
التدريجي للجمال، أو وجدان الرجل من يستمتع بها غير
زوجته. . . وأما الثاني فإن من الممكن أن يقوم به الغير. . . وأما
الثالث فإن له أمد ينتهي بسن اليأس أو أعراض الزوج عن
النسل. . . وأما الرابع فقد يفقد بريقه بتكرار التعامل والمواجهة
الرتيبة، إذ إنّ لكلّ جديد بهجة.

ومن هنا يتحتّم إضافة عنصر آخر، يتمثّل في: الإحساس
بالمسؤولية تجاه الرعية، وفي أنّ الزوجة أمانة من الحقّ المتعال
أودعها - إلى أجل مسمّى - بيد الزوج، وهو مسؤول عنها إلى
آخر العمر، بل إلى يوم الحساب، يوم يُنادى المرء: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ
مَسْئُولُونَ﴾^(١). . . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أقربكم مني
مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً، وأنا أطفكم بأهلي»^(٢).

٣ - خلود الحياة الزوجية

الاعتقاد بأن الحياة الزوجية عند المؤمن لا تنتهي بانتهاء
الحياة الدنيا، بل إن المرأة الصالحة تلتحق بالزوج مع أبنائها
- بشرط الصلاح - في الجنة، بمقتضى قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾^(٣) و﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

(١) سورة الصّافات: الآية ٢٤.

(٢) حياة الإمام الرضا ﷺ: ج ١، ص ٢٥٧.

(٣) سورة الرّعد: الآية ٢٣.

ذُرِّيَّتِهِمْ بِإِيمَانٍ الْحَقَّانَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴿١﴾ . . إن هذا الإحساس بالاستمرارية، بل الخلود في العلاقة الزوجية بلوازمها، يضمني على الحياة الزوجية رباطاً، لا ينفصم بتقادم الدهور والأعوام.

٤ - مباركة الحق للحياة الزوجية

إن من أهم عوامل التجاذب الروحي بين الزوجين - إضافة إلى سعي كل منهما إلى إيجاد موجبات ذلك التجاذب - هي مباركة الحق المتعال لتلك العلاقة، ولهذا يسند الحق المتعال التوفيق إلى نفسه، عند إرادة الإصلاح من الزوجين بقوله: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (٢) . . ومن هنا كانت الاستقامة العملية للزوجين في ساحة الحياة - داخل البيت الزوجي وخارجه - من موجبات نظرة الحق المتعال لهما، مع ما يستتبعها من الألفة والثبات في العلاقة الزوجية.

٥ - الوصف الإيماني لا الشخصي

من الضروري أن ينظر كلٌّ من الزوجين إلى الآخر، بوصفه الإيماني، لا بوصفه الشخصي . . فإن عدم وجود الرقابة البشرية داخل البيت، وانفراد كل منهما بالآخر في كثير من الساعات، يهيئ الأرضية للتعدي وتجاوز الحدود . . إذ إن الإحساس بالرقابة الإلهية المتصلة، من موجبات الالتزام بالحدود والقيود،

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٥.

وإن غاب الرقيب البشري . . وقد أكد الحقّ تعالى هذه الحالة من الرقابة بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ نَحْوَكُمَا﴾^(١).

٦ - تحديد تحرك المرأة

من الأفضل - بل من المتعيّن في بعض الحالات - تحديد تحركات المرأة، وخاصة في ما لو استلزم التعامل المريب مع الرجال . . إذ أنها قد تفتقد بذلك تفرغها، لما هو أهم لها وأقرب إليها، من شؤون الزوج والأولاد، بل قد تفتقد في بعض الحالات أنوثتها، من خلال الاحتكاك المستمر بعنصر الرجال، وهو ما نشاهده بوضوح في بعض البيئات المختلطة، وخاصة مع ضعف الروادع الدينية . . ولا ننسى القول: إن للضرورات أحكامها، إلا أنها تتقدّر بقدرها.

٧ - الثابت والمتغير في السعادة

ينبغي التركيز على أن الثابت والمؤثر في سعادة الزوجين، هو جانب الدين والأخلاق، فهما العنصران المتحركان في تنظيم العلاقة بين الزوجين، بل هما العنصران المتجدّدان اللذان لا يوصفان بالبلى والقِدَم . . وأما الجمال فهو أمر نسبي، تألفه العين في درجاته المختلفة. وعليه، فإن المطلوب هي نسبة مقبولة من التناسب في المظهر الخارجي . . ولا شك في أن الإقدام على الزواج من المنطلقات الإيمانية، ممّا يوجب مباركة

(١) سورة المجادلة: الآية ١.

الحقّ المتعال لذلك الارتباط المقدّس، كما نلاحظه من خلال التجارب المختلفة.

٨ - الجميلة والملوحة

ينبغي التفريق بين الجاذبية الباطنية - والتي لها معادلات غير معروفة بشكل واضح - وبين الجاذبية الشكلية، ولهذا يفرّقون بين الملوحة والجميلة. . ومن المعلوم أن الأول نوع جمال يستند إلى الخصال الباطنية، التي لو اكتملت في فرد، قذف الله تعالى محبته في قلوب الآخرين، كما هو مشاهد بالوجدان.

٩ - التوافق الثقافي

لا مانع من الزواج فيما لو كان الزوجان في سنين متطابقة أو متقاربة، مع وجود شيء من التوافق الثقافي والمزاجي. . فالملاحظ أن الفارق الشاسع بين مستوى الزوجين في المجال العلمي والثقافي، يوجب شيئاً من الإرباك في الحياة الزوجية، لعدم وحدة لغة التفاهم والتخاطب بينهما، مما يعمّق هوة الخلاف عند أدنى مثير في الحياة الزوجية.

١٠ - خضراء الدمن

لا بدّ من الالتفات إلى التعبير بـ (خضراء الدمن) فيما روي عن النبي ﷺ، وهي المرأة الجميلة في منبت السوء؛ فإن المنبت العائلي له دور فعّال في سلوكيات المرأة، قبل الزواج وبعده. . إذ إن التأثير اللاشعوري للوالدين في حياة الأبناء، ممّا

لا يمكن إنكاره، حتى في السنين المبكرة جداً، فكيف في سنوات المراهقة والرشد؟! .

١١ - اختيار مدرسة للأجيال

اختاروا لنطفكم فإن العرق دساس، فمن أجل سلامة الجيل الذي سينتج من الزواج، لا بد من الاختيار الدقيق لمن تكون مدرسة للأجيال اللاحقة. فعليه، فلا بدّ من النظر إلى الزوجة، على أنها هي المربية لأفلاذ كبد الإنسان.. فحبّ الإنسان لذريته - وهو أمر فطري أصيل - يستلزم حسن الانتقاء لمن ستربي هذه الذرية، التي هي من الصدقات الجارية بعد الوفاة.

١٢ - قيمومية الرجل

إن قيمومية الرجل على المرأة، لا تعني التحكم المطلق والتعسف في إدارة شؤون الأسرة، فالولاية المطلقة إنما هي لله تعالى، ولمن جعلها لهم.. فلا بدّ من استعمال الرجل - كأمين مفوّض، لا كحاكم مطلق - لتلك الولاية في الحدود التي يراها الشارع المقدس، وهو مطروح بتفصيل في كتب الفقه، يحسن بالزوجين مراجعتها.

١٣ - انتقال الصفات الوراثية

إن بعض الصفات الوراثية الأخلاقية، تنتقل بشكل قهري تماماً كالصفات البدنية.. وعليه، فإن الالتفات إلى هذه النقطة،

يجعل المرء حريصاً في انتخاب المنبت الصالح، الذي تقلّ فيها تلك المؤثرات الوراثية السلبية، وقد ورد أن لشرب الخمر مثلاً تأثيراً على أجيال متعددة.

١٤ - من أسباب تعجيل الطلاق

إن من الصفات التي تعجل المشاكل الزوجية، ومن ثم الطلاق بين الزوجين، هي:

الحدّة في المزاج، التسرّع في الحكم، عدم الإحساس بلزوم التعبد الشرعي، عدم القناعة بما قسم الله تعالى، الحسد والنظر إلى ما في أيدي الآخرين من المتاع.

١٥ - القابلية لا الرصيد

إن المهم في الزوج هو قابليته لتدبير المعيشة من جهة الكفاءة والقابلية، وليس من المهم - بعد ذلك - رصيده الفعلي. . فإن الحقّ المتعال تكفّل فيما تكفل، بإغناء الزوجين، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

١٦ - الابتعاد عن مصادر التوتر

ينبغي الحرص على إبقاء العلاقات الاجتماعية، خالية من الشوائب، وخاصة مع أرحام الزوجين، وذلك لوجود أرضية الخلاف - في بعض الحالات - بشكل طبيعي، كما نشاهده

(١) سورة التور: الآية ٣٢.

أحياناً بين أهل الزوج من جهة وبين الزوجة من جهة أخرى . .
فإن هذه العلاقات المتوترة، مصدر تشويش دائم في الحياة
الزوجية، ولطالما آل أمره إلى هدم العش الزوجي، وخاصة مع
التناحر والعصبية.

١٧ - تحاشي ساعة الغضب

إن من الساعات التي يتسلط فيها الشيطان على الزوجين، هي
ساعة الغضب . . فعلى الزوجين في مثل هذه الحالة - ولا تخلو منها
حياة زوجية - من تحاشي اتخاذ أي قرار، أو عمل، أو قول يعمق
الشرخ بينهما، ويورثهما الشحناء والبغضاء، وإن اصطلحا بعد ذلك.

١٨ - آثار الطلاق

إن التهديد بالطلاق - عند اشتداد الأزمة بين الزوجين - ممّا
لا ينبغي التفكير فيه، فضلاً عن التفوّه به من أحد الطرفين . . فإن
جعل الطلاق هو طريق الخلاص الوحيد، مما لا يقرب به عقل ولا
شرع، وقلّمَا أورث الراحة والخلاص من الهموم، وخاصة مع
انعكاس تبعات هذه الحالة على الأولاد . . وكذلك تفاقم
الحالات النفسية بين الزوجين، حتى بعد الطلاق، إذ إن هذا
التاريخ الطويل من المعاشرة - بما فيه من أفراح وأتراح - مما لا
يُنسى بكلمتين أمام شاهدين عادلين.

١٩ - تحاشي الخلاف العلني

تحاشي الشجار وإبراز الخلافات الزوجية الخاصة في

الوسط العائلي، سواء كان ذلك أمام الأرحام والأولاد.. إذ إن إحساس الأولاد بعدم الاستقرار في حياة أبويهما، يزعزع حالة الاطمئنان بالمستقبل، أضف إلى ذلك سريان التفاعل اللاشعوري بمضاعفات تلك الخلافات، إلى حياتهم في المستقبل.. كما أن إبراز الخلاف أمام الأرحام، يوجب شيئاً من المهانة لأحدهما، لا يجبره حتى الاعتذار.

٢٠ - الخلاف يسلب التركيز

إن انشغال الفكر بالهموم والخلافات العائلية، يسلب الذهن حالة التركيز في القضايا المصيرية الأخرى: كخدمة المؤمنين، وإرشاد الجاهلين، ومتابعة شؤون الأولاد في دراستهم وعبادتهم، والعمل بما يكون زاداً له في سفره الطويل الموحش والذي طالما شغل بال أولي الأبواب.. إذ إن التقرب إلى الحق المتعال، يحتاج إلى بيئة خالية من الشوائب والمزعجات، وخاصة تلك التي تجرّ الزوجين إلى المعصية: كالغيبة، والبهتان، والفحش في القول.

٢١ - الاحتكام إلى الشرع

ينبغي للزوجين الاحتكام إلى الشرع وأهله، فيما يشجر بينهما من خلاف، وليست لهم الخيرة بعد ذلك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(١). ومن المعلوم أن انعدام هذه الحكمية، يجعل الزوجين يعيشان في دوامة لا

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

نهاية لها، فإذا لم يرتضيا الشرع حَكَمًا، فيا ترى مَنْ هو الحكم؟! .

٢٢ - تأمين الزوج للنفقة

إن على الزوجة أن تلتفت إلى أن من مهام الزوج، هو تأمين نفقة البيت الزوجي، وهذا بدوره يستلزم أحياناً كثيرة، الدخول في معترك الحياة، وحمل هموم جلب المعيشة، بما فيها من منغصات وآلام. . فعلى الزوجة أن تلتفت إلى أن هذا الجهد المبذول ينبغي أن يُشكر من خلال الاحترام، وتهيئة الجو العائلي السعيد. . كما أن على الزوج أن يلتفت إلى انفراد الزوجة، بتبعات الحمل والولادة للطفل الذي هو منتسب إليهما معاً.

٢٣ - تزيين المرأة والرجل

إن تزيين الزوجة لزوجها، وإتقانها لواجباتها الزوجية، من عناصر اجتذاب الزوج إلى ما أحله الحق المتعال، وبالتالي إبعاده عن البدائل المحرمة. . والأمر كذلك في جانب الزوج، الذي يرى نفسه غير مكلف بالتزيين لزوجته، وكأن ذلك من خصائص النساء فحسب.

٢٤ - مناقشة القضايا

إن من المناسب تعيين ساعة من ليل أو نهار، لمناقشة قضايا الأسرة بشكل هادئ وهادف، بعيداً عن التوتر وفرض الآراء، فإن للزوجة رأيها في الأمور، كما أن للزوج كذلك. .

والأفضل هو التوفيق بين الآراء المتنافرة مهما أمكن، للابتعاد عن سلبيات فرض الرأي من دون قناعة.

٢٥ - موقع الزوج في الهدية

إن للزوج دوراً مهماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما أوتي من موقع متميز داخل العائلة.. فعليه أن لا ينسى هذا الدور الذي يحثّ عليه القرآن، من خلال قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(١).

٢٦ - الضوابط لصالح الزوجين

إن التزام الزوج بالضوابط الشرعية، في النظر والحديث مع الأجنبيات، وكذلك المرأة في تحاشي موجبات الإثارة مع الأجانب؛ يعزّز سلامة البيت الزوجي.. فلطالما أوجب الانفلات من القيود الشرعية من الجانبين، إلى الوقوع في الرذائل المحرمة، والتي هي بمثابة الضربة القاضية للحياة الزوجية.

٢٧ - عدم توقّع المثالية

إن على الزوج أن لا يتوقع الحالة المثالية من الزوجة، وكذلك العكس، فإن فوق كل ذي علم عليم، فكما أن الزوج لم يتزوج بالزوجة المثالية، فكذلك الزوجة فإنها لم تتزوج بالزوج المثالي.. وعليه، فقد يصادف أحدهما من هو أفضل للآخر

(١) سورة طه: الآية ١٣٢.

أثناء حياته، ولكن هذا لا يعني أبداً، أن يتمنى العبد ما لم يُقدّر له فيه رزقاً.

٢٨ - الآداب قبل الزواج وبعده

إن من المناسب ملاحظة الزوجين للآداب الواردة في الشريعة: قبل انعقاد النطفة، وحين الزواج، وبعد الحمل، وعند الولادة، وحتى عند الإرضاع. . فإن لهذه الآداب تأثيرات كبرى على المستقبل التربوي للوليد.

٢٩ - اقتصاد الزوجة

إن حسن إدارة الزوجة لمتطلبات المنزل، سوف يوقّر على الزوج كثيراً من التبعات المالية، أضف إلى ذلك توقي الإسراف والتبذير، مما منيت بهما المجتمعات المترفة، وهما من أهم عوامل سلب النعم.

٣٠ - سرعة الاعتذار

إن الإنسان بطبعه خطّاء، غير معصوم من الزلل، ولا يفترق في ذلك ذكر أو أنثى. . فالمهم في الزوجين، أن يسارع كل منهما إلى الاعتذار اللائق، عند صدور خطأ مقصود، أو غير مقصود. . ولا شك أن المغفرة الإلهية، مترتبة على تصفية حقوق المخلوقين، كما أن أذى الخلق - في بعض الحالات - يسبّب أذى الحق المتعال، والذي يترتب عليه اللعن في الدنيا والآخرة.

٣١ - عدم الموعظة حال الغضب

إن الموعظة والهداية في حال الغضب، تذهبان أدراج الرياح، بل قد تزيدان المخاطب عتواً وعتاداً. وعليه، فلا معنى للموعظة في حال الغضب وهيجان أحد الزوجين أو كليهما. . وقد رفعت بعض النصوص التكليف بالنهي عن المنكر أمام صاحب السوط!.. فليتحين الزوجان الساعة المناسبة لإبداء الملاحظات التي لا بدّ من إبدائها.

٣٢ - الإهداء سُنَّةٌ محمودة

إن الإهداء سُنَّةٌ محمودة تعمّق حالة المودة والألفة بين الزوجين. . فكم من الجميل أن يهدي كل من الزوجين الآخر، ما يلائم المناسبة المختصة بكل منهما!.. ولا شك في أن النظر إلى تلك الهدية - وخاصة إذا بقيت كذكرى لهما - مما يجدد العواطف التي اكتنفت تلك المناسبة، وذلك الإهداء.

٣٣ - الصرف على الزينة

اعتادت بعض الزوجات على صرف ما يعتد به من أموال الزوج، فيما هو من زينة الحياة: من الملابس والأثاث، وما لا يُعدّ من ضروريات العيش، وقد يبدأ الخلاف فيما لو أصرت الزوجة على اقتناء ما لا يرضى به الزوج.. فهل من المنطق أن يكدر الزوجان صفو حياتهما، فيما هو من فضول العيش وزينته؟! . وعليه، فإن المناسب هو القدر المعقول من الزينة في مختلف شؤون الحياة.

٣٤ - القناعة بما قسم الله

إن نظرة الزوجة لمستوى معيشي أرقى من رتبته وقدرات زوجها، يجعلها لا تعيش حالة الشكر من النعمة التي هي فيها . . فإن على الزوجين اللذين يخشيان على أنفسهما تخلل حالة الكفران في وجودهما، أن يتحاشيا معايشة من توجب معاشرتهم تلك الحالة . . هذا كله فضلاً عن معايشة الذين يُخشى من معاشرتهم على فساد الدين، وانحراف الخلق القويم، ولطالما جرّت معايشة واحدة ويالات على الزوجين، لم تنته إلا بالفراق .

٣٥ - الهجرة إلى بلاد الكفر

إن الهجرة إلى بلاد الكفر غير سائغ في غير حال الضرورة، بل قد يحرم إذا استلزم انحرافاً في عقيدة أو عمل، سواء كان ذلك بالنسبة إلى الزوجين، أو بالنسبة إلى أبنائهما . . ولا شك أن الجيل الذي سيتربى في تلك البيئة الفاسدة، يُخشى على تمسكه بأصل الدين، فضلاً عن الانحراف السلوكي في مقام العمل . . وقد سمعنا عن بعض السلالات التي فقدت إسلامها، لسوء اختيار الموطن، رغبة في شيء من حطام الدنيا .

٣٦ - ترويح الزوجة

إن استغراق أوقات الزوجة في إدارة شؤون المنزل بين جدران أربع، يورثها شيئاً من التبرم وضيق الصدر والمزاج، خلافاً للزوج الذي له مجال واسع في التحرك . . وعليه، فإن من الإنصاف أن يدخل الزوج على زوجته جوّاً من التغيير والترويح،

المتمثل في سفرة إلى أحد الديار المقدسة، أو رحلة قصيرة هادفة خالية من التبعات والآثام.

٣٧ - التثقيف الذاتي

إن وجود مكتبة صوتية وغيرها من الكتب والمجلات النافعة، توفر فرصة جيدة لتثقيف الزوجين - بأنفسهما - في أوقات الفراغ، وخاصة مع ضعف الوسائل العامة في تأمين الثقافة النافعة، بل مساهمتها في بعض الحالات في تفتيت العش الزوجي، من خلال عرض ما يوجّه كل من الزوجين إلى عالم الانحراف المناسب لكل منهما.

٣٨ - مراقبة الزيارات العائلية

إن الزيارات العائلية ينبغي أن تُراعى فيها القيود الشرعية، من عدم الاختلاط المريب، إضافة إلى عدم التفاعل المشبوه بين المراهقين، وخاصة مع وجود الجنس المخالف، فإنها من المظان الكبرى لاستنبات بذور الفساد بكل أبعاده.

٣٩ - حفظ الأسرار الزوجية

على الزوجين أن يحفظا أسرار حياتهما الزوجية في أوجّ الخلاف والشقاق.. فإن كثيراً من هذه السلبات المنكشفة عن طريق أحد الزوجين، يسبب الهتك لهما أو لأحدهما، مما لا يرضى به الشارع لعبده.. ومن المعلوم أن إحساس الآخر بما

تعرض له من الهتك والإساءة، قد يسدّ أبواب المصالحة والوفاق .

٤٠ - الغيرة وسوء الظن

إن من روافد المشاكل بين الزوجين: الغيرة التي لا مبرر لها من جانب الزوج أو الزوجة، وسوء الظن الذي لا موجب له، سوى استيلاء الوهم الذي لا يغني عن الحق شيئاً . والمهم أولاً وآخرأ في هذا المجال: هو تحكيم الشرع فيما أجاز وحرم، وإن كان بخلاف ميل أحدهما أو كليهما . . فإن زمام التحريم والتحليل إنما هو بيد صاحب هذا الوجود، وهل هناك من يملك القدرة في منازعة الحق في سلطانه وأحكامه؟! .



الوصايا الأربعون في الآداب الباطنية للحجّ الإبراهيمي

١ - حقيقة الحج

إن الحج عملية قصدية، إذ إن الحج لغة هو بمعنى القصد.. والذي ليس له قصد واعٍ للوصول إلى درجة من درجات القرب إلى المولى تعالى، لا يُعدّ حاجاً قاصداً.. فإن قصد البيت شيء، وقصد صاحب البيت شيء آخر.. والفرق بينهما كالفرق بين عالم المادة والمعنى، فهل تصوّرت الفرق بينهما؟!.. وليعلم أن أغلب الحجاج لا يرجعون إلاّ بزيارة البيت، ولم يتعرفوا على صاحب البيت أبداً، والدليل على ذلك رجوعهم من الحج بلا زيادة في المعرفة، تلك المعرفة التي توصلهم إلى ملكوت هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^(١).

٢ - أمير الحاج

على الحاج أن يلتفت في جميع المواطن أن حجّه يتزامن مع

(١) سورة العلق: الآية ١٤.

حجّ صاحب الأمر عليه السلام الذي هو أمير للحاج في كل موسم . . فعليه بالإكثار من الدعاء بتعجيل الفرج، وخاصة في مواطن الاستجابة: كالحطيم، والمستجار، وتحت الميزاب، وخلف المقام، وعلى الصفا، وفي موقف عرفة، وفي ساعات رقة القلب . . فهنيئاً لمن رآه مولاه داعياً له بحرقة وحنين! . . ولك أن تتصوّر ما هي عاقبة العبد الذي استجيب في حقه دعوة مولاه بين يدي ربّ العالمين، وهو في موسم استجابة الدعوات؟! .

٣ - الولاية والبراءة

في الحج ولاية وبراءة، ولا يكتمل أحدهما إلا بالآخر . . أليس في شهادة التهليل شقّ براءة متمثلة بـ (لا إله) وشقّ ولاية متمثلة بـ (إلا الله)؟! . . وحتى حجارة الحرم فيها الشقان بصفتيهما، فنقبّل الحجر الأسود تارة إظهاراً للولاية، ونرمي بحجارة الحرم عند الجمرات إظهاراً للبراءة تارة أخرى؟! .

٤ - الغُسل والتوبة

إن الاغتسال عملية رمزية ليقول العبد بلسان حاله: يا ربّ! . . طهّرت ظاهري بما أمكن من الماء القراح، فطهّر باطني بماء التوبة الخالصة، مصداقاً لقولك: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(١)، إذ إن توبة عبدك بين توبتين منك! . . ومن الملفت حقاً أن العبد مأمور في الحج بأغسال عديدة، منها: عند الإحرام والميقات، ودخول

(١) سورة التوبة: الآية ١١٨ .

الحرم، ودخول المسجد الحرام.. وكأنه يريد بذلك أن يجدد توبة بعد توبة، ليلتقي أخيراً بمحبوبه خالياً من كل درن.

٥ - واقع التلبية

عندما تلبّي في الميقات مرة أو أكثر من مرة، حاول أن تتذكّر كم من المرّات قلت لبّيك للعباد: الصالحين منهم، وغير الصالحين!.. أولاً يكفي هذا التذكّر أن تلبّي في الميقات وأنت خجل من كيفية تلبّيتك لله ربّ العالمين؟!.. فلطالما لبّيت نداء الآخرين بكل طواعية وإخلاص، وها أنت تلبّي في الميقات حريصاً على أداء مخارج الحروف فحسب، من دون التفات إلى جوهر التلبية!.. فعلى العبد أن يخشى من أن يأتيه النداء عند التلبية من قبل الربّ المتعال قائلاً: لا لبّيك ولا سعديك!.. وهذا الذي كان يُجري به مدامع المعصومين عليهم السلام عندما كانوا يقفون في الميقات ملّين برهبة ووجل.

٦ - مواطن التخيير

هنالك تناسب ملفت بين المواطن الأربعة التي يخير فيها المصلّي بين القصر والتمام وهي: مكة مركز (التوحيد والألوهية)، والمدينة مركز (النبوّة)، والكوفة مركز (الولاية)، وكربلاء مركز (الشهادة).

٧ - مكة والمشروع الإلهي

إن مكة ليست نقطة جغرافية فحسب، بل هي تاريخ مطوي

بكل آلامه وأفراحه . . فلنتذكر أن هذا المكان هو محلّ المشروع الإلهي الذي كان بانيه إبراهيم الخليل عليه السلام، ومساعدته إسماعيل الذبيح عليه السلام، وإمام مسجده النبي الأكرم عليه السلام، ومحطّم أصنامهم علي عليه السلام . . وتذكر أنه ما من موضع أنملة إلا وعليه موضع قدم نبي أو وصي أو ولي .

٨ - ثوب الإحرام

كم من الشبه بين ثوب الإحرام الأبيض، وبين الثوب الذي يُلفّ به الطفل الوليد، وبين الثوب الذي يكفّن به الميت الطريح . . وعليه فإن موقفك في الميقات موقف بين الولادة والموت، وقديماً قالوا: قم واغتنم الفرصة بين العدمين! .

٩ - التجرّد في الميقات

في الميقات يتجرّد الإنسان عن كل المظاهر التي أكسبته وجاهة صورية، لا واقع لها إلا الوهم والخيال، وذلك من أشكال الزينة في المظهر، والملبس . . أو ليس من الحري بالحاج أن يتجرّد بموازاة ذلك عن كل أشكال الوهم والخيال الفاسد في الباطن: كالخيلاء والعُجب والرياء، والذي لا يعلمه إلا الله تعالى والعبد الذي جعله الله تعالى بصيراً على نفسه ولو ألقى معاذيره .

١٠ - فلسفة تروك الإحرام

إن تروك الإحرام تعليم للعبد على مخالفة هوى نفسه، وما هو المألوف في حياته ك: التطيّب، والتدهين، والاستمتاع

بالنساء، والتوقى من حرارة الشمس، ودفع هوام البدن وغير ذلك.. ومن المعلوم أن الطريق إلى الله عز وجل لا يسلكه العبد إلا بمخالفة مقتضيات طبعه، والخروج عن مألوف عامة الخلق.

١١ - الحركة الباطنية

إن من مصاديق الفرار إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ﴾^(١) هي الحركة الباطنية إليه، ولكن الحج حركة ظاهرية للفرار أيضاً.. فإذا دخلت المسجد الحرام فتصوّر نفسك أنك عبد أبق ارتمى في أحضان مولاه داخل بيته، وخاصة عند الدخول الأول، وخاصة في الحجة الأولى، فإنها مشاعر لا تتكرر في أي بقعة من بقاع الأرض.

وعلى الحاج أن يعيش مشاعر متنوعة عندما يدخل المسجد الحرام، فمنها: الإحساس بأن هذا بيت ربّه الودود، ومنها أنه بيت أبيه، إذ جعل القرآن الكريم إبراهيم أباً لهذه الأمة، حيث قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢)، ومنها أنه بيت الأمن والأمان حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٣)، ومنها أنه بيت الحرية حيث إنه البيت العتيق، ومنها أنه بيت البركة حيث قال تعالى: ﴿يَبْكَةً مُبَارَكًا﴾^(٤).

(١) سورة الذّاريّات: الآية ٥٠.

(٢) سورة الحجّ: الآية ٧٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٦.

١٢ - استجابة الدعاء

من المعروف - وإن لم يكن من المأثور - أن للحاج في الحجة الأولى دعوات مستجابة . . وهذا الأمر ليس بغريب، إذ إن للضيف في أول ساعات الضيافة إكراماً خاصاً لا يتكرّر في الزيارات المقبلة، إذ إن عدم قيامه بلوازم الأدب في بيت المضيف في السفرات السابقة، قد يحرمه بعض العطاء في الزيارات اللاحقة . . بينما الضيف في زيارته الأولى لم يرتكب أي تقصير في هذا المجال .

١٣ - حرمة ضيوف الرحمان

على الحاج أن ينظر إلى من حوله من حجاج بيت الله الحرام على أنهم ضيوف ربّ العالمين، والله تعالى سريع الانتقام لمن يخلّ بحقوق ضيوفه مهما كانت عناوينهم السابقة من حيث المعصية . . إذ إن الحاج عندما يأتي إلى البيت العتيق يتجرّد عن كل سوابقه، ليكتسب حصانة في تلك الديار الآمنة . . فلا تنظر إلى الحاج بمنظار الصداقة والقرابة، وإنما بمنظار الوفاة على الله تعالى .

١٤ - الهدية سنّة حسنة

إن الهدية سنّة حسنة لو التزم بها وقاد بيته الحرام . . ولكن ليحذر الحاج من الإسراف والتبذير، والمباهاة، في هذا المجال . . ولا ينبغي أن تكون هذه السنّة المحبوبة لمولاه، شاغلة له عن وظائف العبودية في تلك اللحظات الحاسمة . .

وكم من القبيح أن يشتغل العبد بذلك، والمنادي ينادي (حي على الفلاح) وهو في بلد الصلاح والفلاح!.

١٥ - تخليد الذكر

إن في الحج تخليداً لذكرى من بذلوا شيئاً أو تحمّلوا شيئاً في سبيل الله تعالى، فهذا هي أمة غريبة مجهولة القدر، تحمّلت السكنى بوادٍ غير ذي زرع، امتثالاً لأمر ولي أمر زمانها، المتمثل بإبراهيم الخليل عليه السلام، وإذا برّب العالمين يعوّضها في الدنيا قبل الآخرة من أنواع التكريم ما لا يخطر ببال بشر!.. والحاج يهرول حيث هرولت، ويشرب من الماء حيث زمّت، ويتحاشى الطواف على قبرها، وكأنه جعل جزءاً للبيت العتيق.

١٦ - هوى القلوب

لو أرادت جهة من جهات الأرض أن تجمع هذا الجمع الغفير في تلك البقاع، التي ليست فيها إغراءات الطبيعة الخلابة، والمياه الجارية، والنسمات العطرة، لما استطاعت ولو بذلت ما بذلت!.. ولكن نداء من إبراهيم الخليل عليه السلام قبل آلاف الأعوام، جذبت هذه الجموع من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، وليطوفوا بالبيت العتيق.. أليس هذا مصداقاً من مصاديق مباركة المولى جلّ وعلا في دعوة من يحبّ؟!.

١٧ - سلمية المؤمن

إن الحاج ممنوع من حمل السلاح في حال الإحرام، لئلا

يكون وجوده وجوداً مهيباً باعثاً على الذعر والخوف.. ولكن البعض قد لا يحمل السلاح لا في الحجّ ولا في الوطن، ولكنه يبعث الذعر في النفوس - وخاصة في المستضعفين حوله من الأهل والولد - بتقاسيم وجهه، ونبرات صوته، والحال أن المسلم من سلّم المسلمون من يده ولسانه.

١٨ - أنواع الحجّ

كما أن المال منه رزق مقدّر من الله تعالى كعطاء خاص منه، ومنه مال ممنوح للعبد على حسب مقتضيات قواعد الكسب والتحصيل، فكذلك الحج: فمنه حجّ عطائي بدعوة خاصة من مالك الملك، ومنه حج يتحقّق ببذل شيء من المال لأصحاب قوافل الحج، من دون أن يكون هناك نظرة خاصة لصاحب تلك الديار إليه!.

١٩ - عرفة وغاية العطاء

يبلغ الإكرام الإلهي مداه في موسم الحج عندما يقف الإنسان بعرفة، مقرّاً بالذنوب بين يدي ربّه، وحينها تغمره الرحمة، بحيث يرجع من ذلك الوادي ولا ذنب له.. والملفت في هذا المجال - كما تدلّ عليه الروايات - أن الذي يشك في المغفرة بعد عرفة فقد وقع في الخطيئة، لأنه استخفّ برحمة مولاه الذي لا يعقل الرجوع من فنائه بالخيبة والخذلان.. ومن هنا لزم على الحاج أن يتفنن في الدعاء في

ذلك الموقف العظيم الذي لا نسك ولا عمل فيه سوى الدعاء والالتجاء .

٢٠ - الحجّ والاستغناء

إن الله تعالى آلى على نفسه أن يكرم زوّار بيته الحرام حتى في مجال التعويض المادي في الدنيا، مقابل الدريهمات التي ينفقها في كسب الأجر المخلد الذي لا حساب له . . ومن هنا تعدّدت الروايات في أن الحج من موجبات الاستغناء ونفي الفقر، مثل هذه النصوص المباركة: «حجوا تستغنوا» و«تسع أرزاقكم» و«الحج ينفي الفقر» .

٢١ - آثار الحجّ في الآخرة

إن بعض بركات الحج ممّا لا تتجلّى إلّا في الحياة الآخرة، ولو علم الناس بها في الحياة الدنيا لأتوا البيت ولو حبواً على الثلوج، وزحفاً على الركب . . ألا يكفي في هذا المجال هذا الحديث الوارد في مستدرک الوسائل في جواب موسى عليه السلام حينما سأل الله تعالى عن ثواب من حجّ هذا البيت بنية صادقة ونفقة طيبة، فقال تعالى: «أجعله في الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»^(١) أو هل هنالك جزاء فوق هذا الجزاء؟! .

(١) الوسائل: ج٨، ص١٠٢.

٢٢ - التوفير لسفر الحجّ

هنالك الكثيرون ممن يمكنهم الحجّ الواجب وكذلك المستحبّ، ولكنهم يبذرون أموالهم في ما لا يحلّ ولا يجمل . . ولو ادخروا شيئاً من أموالهم لهذا السفر العظيم، لاستطاع الكثيرون التمتع ببركات هذه السفر الإلهي . . فيقول الصادق عليه السلام : «إن استطعت أن تأكل الخبز والملح، وتحجّ في كل سنة فافعل»^(١).

٢٣ - أثر الحجّ على الغير

ليس الحاج هو المستفيد الوحيد من زيارته لبيت الربّ، بل إن كل منتسب إليه تشمله هذه الرحمة الغامرة . . وقد ورد عن الصادق عليه السلام : «إن الحاج ليشفع في ولده وأهله وجيرانه»^(٢). فإذا كان هذا عطاء الله تعالى بالنسبة للمقرّبين إلى الحاج، فكيف بعطائه تعالى للحاج نفسه؟.

٢٤ - نور الحجّ

تدلّ بعض الروايات على أن الحاج يعيش أجواء الحجّ وبركاته حتى بعد عودته من الحجّ، إذ عليه نور الحجّ ما لم يلمّ بذنب . . وقد ورد في خبر طريف أنه: (لا يزال العبد في حدّ الطواف بالكعبة ما دام حلق الرأس عليه) بمعنى أنه يُعدّ طائفاً ما دام آثار الحلق عليه بمنى باقياً عليه.

(١) الوافي: ج ٤، ص ٢٨٠.

(٢) المستدرک: ج ٢، ص ١٠.

٢٥ - حليّة مال الحج

لا بدّ من الدقّة ومراعاة الاحتياط في بذل المال الذي يكون عوضاً في سفر الحج، فإن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان أصله من الطيّب لا من السحت. . فإن الدين الإلهي مجموع متكامل، فلا قيمة لعمل من يؤمن ببعض ويكفر ببعض. . وقد ورد في الخبر: «إذا حججت بمال أصله سحت، فما حججت ولكن حججت البعير»^(١). . وفي خبر آخر عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يقبل الله عز وجل حجّاً ولا عمرة من مال حرام»^(٢).

٢٦ - إخلاص النية

إن إخلاص النية في العمل من مقومات القبول في فروع الدين جميعها. . إذ كيف يزكّي ربّ العالمين ما لم يقصد به وجهه الكريم؟. . أوليس من الخسران أن يشدّ أحدهم الرحال إلى ذلك البيت العتيق متجشماً عناء الطريق، ليفوز بمتاع رخيص من متاع الحياة الدنيا؟! . . فقد روي عن السجاد عليه السلام أنه قال: «من حجّ يريد به وجه الله، لا يريد به رياء ولا سمعة غفر الله له البتة»^(٣).

ولكن ما أصعب مقياس القبول، حيث فسّر بأنه (العمل

(١) محاسن البرقي.

(٢) البحار: ج ٩٩، ص ١٢٠.

(٣) الوافي: ج ٢، ص ٤٧.

الخالص الذي لا تريد أن يحمّدك عليه أحد إلا الله عز وجل)، وما أصعبه من مقياس! .

٢٧ - خدمة الحجاج

من التوفيقات في الحج أن يكون الإنسان في خدمة إخوانه من حجاج بيته الحرام. . وقد كان أئمة الهدى عليهم السلام يخفون أنفسهم بين الحجاج، لئلا يحرّموا مثل هذا التوفيق. . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «سيد القوم خادمهم في السفر»^(١).

ولا شك أن أي حركة في هذا السفر إنما هي مرتبطة بشأن من شؤون صاحب البيت، فلا ينبغي الاستخفاف بأي طاعة فلعلمها هي المنجية، وذلك لأن المقصود أكرم الأكرمين. . وقد ورد عن الصادق عليه السلام التأكيد على تمييز ذلك الحاج المريض الذي كان مع الراوي في المدينة قائلاً: «قعودك عنده أفضل من صلاتك في المسجد»^(٢).

٢٨ - الإنفاق في الحج

إن الحاج مطالب بالبذل وسعة الإنفاق سواء على نفسه أو على غيره، ما دام كل ذلك يصبّ في كسب السعادة الأبدية التي لا تقدّر بثمن. . فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «درهم في الحج

(١) البحار: ج٧٦، ص٢٧٣.

(٢) فروع الكافي: ج٤، ص٥٤٥.

أفضل من ألفي ألفٍ فيما سوى ذلك في سبيل الله»^(١) . . كما ورد: إن الله تعالى يبغض الإسراف إلا في الحج والعمرة.

٢٩ - خدمة ذوي الحاج

من الممكن لمن لم يوفق لحج بيت ربّه، أن يعوّض ذلك من خلال خدمة ذوي الحاج، وخصوصاً إذا كانوا ممّن يحتاجون لمثل هذه الرعاية في غياب وليّ أمرهم . . وقد ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام أنه قال: «من خلف حاجّاً في أهله وماله كان له كأجره»^(٢).

٣٠ - المراقبة في الموسم

إن واقع الحج لا يبدأ من الميقات، وإنما يبدأ من اللحظة الأولى من الخروج من المنزل . . فليحاول الحاج أن يجعل الحج هي الفترة الزمنية المحدودة بين خروجه من المنزل والعودة إليه . . فلا بدّ من أن يكون مراقباً لنفسه في تمام هذه الفترة، وإلا فإن الخاسر هو الذي يحاول التوجّه إلى ربّه في الحرمين الشريفين فحسب، ناسياً بأن توفيق التوجّه هناك، إنما هي ثمرة لمجموع المجاهدة والذكر المستمر: خفيه وجليّه.

٣١ - الوسوسة في الأعمال

إن الوسوسة والمبالغة في إتقان ظاهر الحج زيادة عمّا أمر

(١) تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٢٢.

(٢) الحدائق الناضرة: ج ١٤، ص ٥٦.

به المُشرِّع المقدّس، قد يسلب الإنسان جوهر العبادة.. ومن هنا قد يطوف مراعيّاً لاحتكام الموازنة للكعبة وغير ذلك من الأحكام، قاصراً نظره على ذلك، ومن دون أن يعيش أدنى المشاعر العرفانية التي تعيشها الملائكة التي تطوف حول ذلك البيت المنسوب في العرش، والذي يوازي هذه الكعبة الأرضية.

٣٢ - بيت الله تعالى

إن الحجر الأسود يمين الله في أرضه، فلا بدّ من استحضار معنى المعاهدة مع ربّ العالمين، والبناء على عدم الإخلال بذلك إلى آخر العمر، وذلك عندما نصل إلى تلك النقطة، فبدلاً من مدافعة الحجاج والهجوم اللاواعي عليها، علينا أن نتأمل في مضمون هذا العهد الإلهي.. وقد كان الصادق عليه السلام يعفي نفسه من ملامسة الحجر، معللاً ذلك - وهو يشير إلى جدّه المصطفى عليه السلام - : «فكان رسول الله عليه السلام يُفرِّج له وأنا لا يُفرِّج لي»^(١)!

٣٣ - سرّ الأعداد

إننا لا نعلم ما هو هذا السرّ في عدد السبع المتكرّر في الطواف والسعي ورمي الجمرات.. ولعلّ هنالك تناسباً بينها وبين السماوات السبع والأرضين السبع، فعالم التشريع وعالم التكوين مترابطان، إذ إن صاحبهما هو الحكيم المتعال.. والحج مجموعة

(١) مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ٣٨٤.

من الأسرار لا نعرف كنهها، ومن هناك كان الحج درساً بليغاً في التعبّد بين يدي المولى الذي بيده نواصي الخلق طراً.

٣٤ - رمزية الطواف

الطواف درس بليغ من دروس الحياة، ففيه: حركة دائبة، وفيه اتجاه ثابت، وفيه مساحة محددة، وفيه محورية حول نقطة واحدة، وفيه معاشرة ومعاشرة للخلق، وفيه ابتداء وانتهاء، وفيه صلاة متعقبة، وفيه طهارة للثوب، وفيه عدد لا ينبغي تجاوزه، وفيه شكوك مبطلّة، وفيه منع للزيادة والنقيصة، وفيه اشتراط الطهارة من الحدث والخبث.. كل ذلك عناصر لا بدّ من تواجدها في حركتنا في الحياة: سواء في تعاملنا مع الناس، أو مع الله ربّ العالمين.

٣٥ - الإمامة والحجّ

إن التأكيد على عنصر الإمامة واتباع حُماة لواء التوحيد، لا يكاد يفرغ منه موقف من مواقف الحجّ.. فإن الحاج بعد الطواف مأمور بأن يتخذ من مقام إبراهيم عليه السلام مصلى.. بمعنى أنه مأمور - وهو يريد مناجاة الربّ - بأن يقف في ذلك الموقف الذي وقف فيه بطل التوحيد، متحدّياً طواغيت زمانه.. فالصلاة المقبولة هي ما كانت على موقع الإمامة والولاية.

٣٦ - أصنام الظاهر والباطن

كما أن إبراهيم الخليل عليه السلام أمر بتطهير البيت الحرام من

الأصنام الظاهرية، فإننا مأمورون أيضاً بتحطيم الأصنام الباطنية التي نتوجّه إليها في الخفاء وإن لم نعلن عبادتنا لها في الجلاء، ألا وهي الشهوات التي زُيّنَتْ لنا والتي ذكرها القرآن بأصنافها وأنواعها. . فلنتأمل في هذه المقولة لإمامنا الصادق عليه السلام التي تفتح لك آفاقاً من المعرفة وهي: «القلب حرم الله، فلا تُسكن حرم الله غير الله»^(١).

٣٧ - زيارة المصطفى صلوات الله عليه وآله

إن من الجفاء أن لا يقوم الحاج بزيارة حبيبه المصطفى صلوات الله عليه وآله وذريته الطاهرة وعمّه سيد الشهداء عليه السلام، مراعيّاً لآداب الزيارة كما هو حقّها: استذكّاراً لحياتهم عند الله تعالى، ومرزوقيتهم من عطاء الله تعالى، وكرامتهم في قبول شفاعتهم عند الله تعالى، والبناء على إثبات الصدق في محبتهم وذلك من خلال الاجتهاد في طاعة الله تعالى. . وقد ورد عن النبي صلوات الله عليه وآله أنه قال: «من زارني حيّاً وميتاً، كنت له شفيعاً يوم القيامة»^(٢) وقد رُوي عن علي عليه السلام أنه قال: «أتمّوا برسول الله حجّكم، إذا خرجتم إلى بيت الله»^(٣).

٣٨ - جامعة الحجّ

ما أجمل هذا التعريف للحج من فقيه من فقهاء الإمامية،

(١) بحار الأنوار: ج٦٧، ص٢٥.

(٢) البحار: ج٩٧، ص١٣٩.

(٣) المصدر نفسه.

وهو صاحب جواهر الكلام، حيث يقول عن الحج إنه: (رياضة نفسانية، وطاعة مالية، وعبادة بدنية، قولية وفعلية، وجودية وعدمية). . . ومن الممكن لكل حاج أن يتأمل في الحج، ليكتسب تعريفاً جديداً، لم يخطر ببال أحد، فللحج أسرار تفتح على القلوب الملتفتة المتعطشة لحقائق الخلق.

٣٩ - حرص الحاج

من التعابير الرائعة عن الحج ما ورد عن علي عليه السلام كما في نهج البلاغة: «يألّهون إليه ولوه الحمام»^(١). . . رأيت أسراب الحمام الظامئة وهي تحطّ بجانب الغدير؟ . . فكم يكون حرصها على التزوّد منها قبل أن تطير إلى القاحل من البقاع؟ . . فعلى الحاج أن يرى نفسه كمثّل هذا الحمام الذي ساقه العطش إلى غدير الحرمين الشريفين، ليرجع بزاد العام كله، فهل كل الحجاج كذلك؟.

٤٠ - أثر القبول

إن من ثمار الحجّ الكبرى أن يعود الإنسان من الحج بحالة من السكينة والطمأنينة تبقى معه بعد رجوعه من الحج، وهذه علامة من علامات تميّز حجّه . . فكما أنه بذكر الله تطمئن القلوب، فكذلك بالحجّ تسكن القلوب، كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «الحج تسكين القلوب»^(٢).

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١).

(٢) البحار: ج ٧٥، ص ١٨٣.

الوصايا الأربعون في الآداب الباطنية

لزيارة المعصوم عليه السلام

١ - علامة القبول

استحضار معنى الإذن، وأنه يحتاج إلى توجه لمجيء الجواب بالقبول.. وقد قيل إن البكاء أو الرقة من علامات الإذن، وإلا فلا بدّ من المكوث خارج الحرم، ليأتي الجواب بالعلامة المذكورة.. ومن هنا تعددت زيارات الإمام مرحلة فمرحلة، وصولاً إلى قبره الشريف.

٢ - معنى الزيارة

استحضار معنى الزيارة وأنها الوقوف بين يدي المزور كإحساس وجداني، والحال أنه يسمع الكلام ويردّ السلام.. فالاعتقاد بحياة الإمام، من لوازم الاعتقاد بقربهم ومنزلتهم من الله تعالى، كيف وهم أئمة الشهداء الأحياء عند ربهم بنص القرآن.

٣ - النيابة في الزيارة

استحضار نية الزيارة نيابة عن الأولياء والأنبياء عليهم السلام

وكذلك ذوي الأرحام، فإن هذا من صور الوفاء بحقهم.. ولا شك أنهم يردّون الهدية أضعافاً مضاعفة، من باب ﴿وَإِذَا حُيِّمُوا بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١).

٤ - الزيارات الماثورة

الالتزام بالزيارات الواردة على تنوعها، والتأمل في مضامينها، والاستغناء بذلك عن الزيارات المخترعة التي لا أساس لها.. أضيف إلى ذلك لزوم حالة التأدّب في خصوص المشهد، بالإضافة إلى الأدب في أصل البلد.. فلا بدّ من مراقبة النظر والقول، والاجتناب عن فضول القول، وخاصة حول القبور الطاهرة.

٥ - أنظف الثياب

لبس أنظف الثياب، واستعمال الطيب، فهذا من سنّة النبي وأهل بيته عليهم السلام، ولا يحسن الذهاب بثياب الابتذال التي لا تُناسب المشاهد المشرفة، والتي يجلّ الإنسان نفسه أن يزور بها أغنياء الخلق وأمراءهم الظاهريين.. وكذلك الالتزام بأدعية السفر قبل الخروج من المنزل، والالتزام بدفع صدقة الطريق، فإنها تدفع البلاء وقد أبرم إبراهيماً.

٦ - الانشغال بالذكر

الزيارة ماشياً قدر الإمكان وبتوجّه، واختيار الطرق التي

(١) سورة النّساء: الآية ٨٦.

تقلّ فيها المشغلات الدنيوية، فإن كثرة الانشغال بعالم الكثرات ممّا يوجب فقدان التركيز في الحرم، والحال أن الزائر أحوج ما يكون إلى التركيز. . والذهاب إلى الحرم منشغلاً بذكر الله تعالى والصلوات والأدكار اللسانية، مع مماشاة القلب لذلك أيضاً.

٧ - استغلال ساعات الفراغ

استغلال ساعات الفراغ في المنزل بما ينفع من المطالعة النافعة. . ويا حبّذا لو التزم الزائر بختمة للمعصوم أيام إقامته، فإنّ هذه خير هدية يقدمها، وخاصة إذا كان مع حضور القلب والفكر. . ولا ينبغي أن يجعل المؤمن لنفسه ساعة فراغ بمعنى الكلمة، فإنه حتى في إجازاته ورحلاته يعيش حالة من الجدّية، والإحساس بأن سيره التكاملي لا زال في حركة دائبة.

٨ - الاطلاع على سيرتهم

الاطلاع الإجمالي على سيرة المعصوم عليه السلام، واصطحاب كتاب مناسب في هذا المجال ليطلع عليه أثناء السفر، ثم تذكّر موافقه الدالة على شدّة رأفته بأعدائه، كما في قصة الجلودي مع الإمام الرضا عليه السلام^(١)؛ فيتصوّر مدى إحسانهم للمحبّين والزائرين. ومن المناسب الاطلاع على فضل زيارتهم؛ تحفيزاً لهمم، فإننا بطبيعتنا نحبّ المحفّزات المادية، فالقليل يتوجّه إلى الله تعالى وأوليائه بما هم أهل لذلك.

(١) بحار الأنوار: ج٤٩، ص١٦٧.

٩ - الحديث المسترسل

الحديث المسترسل النابع من صفاء الفطرة، أي الحديث الأبوي معهم، فإن مقام الأبوة الثابتة للنبي وعلي عليه السلام، يشمل أولادهما الكرام أيضاً بالملاك نفسها.. وهم يحبون هذا النمط من الحديث العفوي، الذي ينبع من أعماق القلب، بالإضافة إلى ما ورد من الزيارات.

١٠ - المراقبة طوال الوقت

إن الزيارة تبدأ من المنزل إلى المنزل ذهاباً وإياباً، فلا بدّ من المراقبة المستمرة في هذه المدة على الأقل، لتزداد قدرة التلقّي من الفيوضات.. ولا شك أن من نجح في هذه الفترة القصيرة، فإنه من المرجو أن يعمّم ذلك لكل الفترات اللاحقة من عمره؛ فما الحياة إلا مجموع هذه الفرص.

١١ - توسعة القابلية

الإمام كالشمس الساطعة، تُشرق نورها على الجميع، فلا بدّ من توسعة القابلية، من أجل أن تكون الاستفادة في أوجّها؛ فإن القلوب أوعية أحسنها أوعاها.. والذي يرجع خائباً، فإن التقصير سيكون من جهة القابل، لا الفاعل الذي لا بخل في جانب الفياض، وهو الله تعالى، ومن تلقّى الفيض منه في الدرجة العليا!.

١٢ - احترام رفقة الطريق

لا بدّ من النظر إلى الرفقة في السفر أو العائلة، على أنهم من الملتجئين إلى ساحة المعصوم عليه السلام . . فلا بدّ من توقيهرهم، وقضاء حوائجهم برغبة وشوق من دون منّة، وذلك لأنهم من شؤون المولى . . والعكس هو الصحيح أيضاً، حيث إن هتكهم سيثير إعراض من قصدناه من بلاد بعيدة . . وهكذا كان دأب أئمة الهدى عليهم السلام في طريق الحجّ في إكرام زائري البيت العتيق .

١٣ - الالتفات لمقام الإمامة

الالتفات التفصيلي إلى مقام الإمامة الكبرى لهم عليهم السلام، فإن هذا ممّا يحقّق معنى العرفان بالحقّ الذي يترتّب عليه الثواب الأكبر، والذي علّق عليه دخول الجنة في روايات متعدّدة .

١٤ - التعبّد الشرعي

إن المعصوم عليه السلام حجة الله تعالى على العباد، ولازم ذلك الانقياد من جهة الموالين . . ولا شك أن من أفضل الأوقات لإثبات ذلك هي أيام الزيارة، فهل من مانع للعدالة الموقّنة أيام الزيارة، ليكون تمريناً عملياً لقوّة الإرادة ولو في فترة قصيرة؟! .

١٥ - لعلّها الزيارة الأخيرة

استحضار حقيقة أنه من الممكن أن تكون هذه الزيارة آخر زيارة للإنسان، بل لا بدّ أن يلقّن حاله ذلك، لئلاّ يُصاب

بالكسل في زيارته، كما ورد الأمر بصلاة المودّع عند صلاة العشاء.

١٦ - التنوع في موجبات الفيض

التنوع في الحرم بين مختلف روافد الفيض من: الدعاء، والقرآن، والصلاة.. ولا بدّ من تقديم ما يناسب المزاج، فكما تُراعى الشهية المادية عند الأكل فكذلك في الشهية المعنوية؛ فإن الإقبال على المائدة بشهية يوجب التملّي من بركات تلك المائدة.

١٧ - العبرة بالكيف

العبرة هي في الكيف لا في الكمّ، فركعتان مقتصدتان بتوجّه، خير من قيام الليل كلّه والقلب ساه، كما هو مُستفاد من مضامين الزيارات.. ومن المناسب أن يُكثر الزائر من سجّادات الشكر، وخاصة إذا رأى إقبالاً شديداً في المشهد المبارك.

١٨ - انتخاب أيام الزيارة

من المناسب الالتزام أيام الزيارة ببعض المستحبّات التي لا يُؤفّق لها الإنسان خارج أيام الزيارة، كصلاة الليل مثلاً، ليعمل بالحديث الداعي إلى أن على الإنسان أن يعمل بالمستحبّات ولو مرة واحدة في عمره، بحيث لا يترك سنّة من سنن رسول الله تعالى إلا وقد عمل بها.

١٩ - التصدق على الفقراء

تصدق على فقراء البلد أي المستحقين منهم، لتظهر رأفتك العملية للآخرين على أمل نظرة الإمام لك.. فإن الراحمين لمن في الأرض سيرحمهم من في السماء.

٢٠ - الاستغفار المركز

التركيز على الاستغفار بين يدي المعصوم، فإنه وارث النبي ﷺ الذي يؤثر الاستغفار بين يديه في مغفرة الله تعالى للذنوب، كما نفهم في آية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾^(١).. ولا مانع من مناقشة المعصوم بأعزّ المحبوبين لديه، وخاصة أمه الزهراء عليها السلام؛ فإنهم يكتنون لها محبة خاصة، وخاصة بما جرى عليها من الظلم الفادح!.

٢١ - طلب المقامات العالية

لا مانع من طلب المقامات المعنوية العالية بالإضافة إلى الحوائج الدنيوية، فإن البعض رجع بالفوز بالمقامات التي لا تخطر على البال، كالانقطاع إلى الله تعالى وغيره من صور الكرامة الخاصة.. وحاول بعدها أن تطلب من المعصوم أن يتبنك تبني الكافل لليتيم، فإن هذا خير ثمرة للزيارة لو تحققت، ويا لها من ثمرة!!.

(١) سورة النساء: الآية ٦٤.

٢٢ - عدم سلب العطاء

من المناسب جداً أن يؤكّد الإنسان على المعصوم في أن لا يُسلب منه العطاءات، فإن حفظ النعمة أولى من أصل العطاء.. فالكثير يُعطى النور أثناء الزيارة وخاصة الشاقّة منها، ولكن سرعان ما يُسلب ذلك النور بعد انتهاء الزيارات مباشرة، كما هو مجرّب بالوجدان.. فإن الشياطين بالمرصاد في سلب البركات بعد الرجوع من السفر، فلا بدّ من الحذر الشديد في هذا المجال.

٢٣ - اختيار مناسبات الزيارة

اختيار الفصول الخاصة للزيارة كشهر رجب وشعبان، وكذلك الليالي الخاصة كليالي الجمعة والقدر، وخاصة في ساعة السحر، ووجود بعض موجبات الإجابة كنزول المطر وغيرها.. ومن المناسب التوجّه للزيارة في أيام الولادة والشهادة، من باب تقديم العزاء أو التبريك.

٢٤ - أفضل الزيارات

أفضل الزيارات من حيث تأجج نار العاطفة، هي الزيارة الأولى حيث فيها (الشوق الأكيد)، والأخيرة حيث فيها (ألم الفراق).. فلا بدّ من اغتنام هاتين الساعتين، فإن ما بينهما من الساعات قد لا ترقى لهذه الساعة عادة.

٢٥ - حليّة مال الزيارة

حاول أن يكون المال الذي تزور به الإمام من أكثر الأموال حليّة، فإن الزيارة المقبولة تحتاج إلى أموال طاهرة، وإلا فكيف يُرجى القبول بمال مغصوب؟! .. فشأنه شأن الوضوء بماء نجس أو مسروق.. ولا مانع من أن يكون للزائر منزلاً في المشاهد الشريفة، ليكون دافعاً من دوافع التواصل مع المعصوم، وكذلك لسكنى إخوانه الزائرين.. كما يحسن المقام عندهم دائماً، ولكن بشرط إعطاء البلد حقّها، وإلا فقد ينعكس الأمر إلى جفاء!! .

٢٦ - الاستحلال من الخلق

حاول قبل السفر طلب براءة الذّمة من ذوي الحقوق، فإن وجود مظلوم في البين، يمكن أن يمنع العطاء، وخاصة من جهة الأقربين، وهذا لا يعدّ من صور تحمّل الذلّ؛ لأن طبيعة الناس على تفهّم هذا النحو من الاستحلال، فكما لا يُنال العهد الإلهي للظالمين، فكذلك بالنسبة للبركات الخاصة، فإنها نفحات لا تُعطى للظالم لنفسه أو غيره.

٢٧ - اجتناب الغافلين

لا تُسافر مع الغافلين أو الفاسقين، فإن طبيعة الرفقة تؤثر في قسوة القلب؛ لأن المرء على دين خليله كما ورد، إلا إذا كان من أجل الإرشاد.. ولكن لا بدّ من الحذر من جهة هذه النية، فإن القدرة على تغيير مسيرة العباد، يحتاج إلى توفيق

خاص، وهو لا يكون إلا للعاملين لا العالمين، والفاعلين لا القائلين .

٢٨ - الواسطة في جلب الزائرين

حاول أن تكون مؤثراً في جلب الزوّار إلى الحرم الشريف - وخاصة ممّن لم يوفّق للزيارة أصلاً - فإن الإمام سينظر إليك قطعاً عندما تكون وسيطاً في جلب الزوّار إليه، وخاصة إذا كانوا على مستوى عالٍ من المعرفة والالتزام . . وحاول أن تطلب منهم الشفاعة بينك وبين مولاك!! .

٢٩ - مراعاة آداب الزيارة

راجع آداب الزيارة المأثورة وغيرها كالغسل، فإن لكل أدب تأثيره في توفيق الزيارة، وخاصة مع الالتفات إلى ملكوت المستحبّ . . فإنّ الغسل الظاهري قد يوجب الطهارة الباطنية مع الالتفات، وخاصة مع ملاحظة كما ورد من الدعاء أثناء الاغتسال، والتي تذكّرنا بالطهارة من كل رجس .

٣٠ - ذكر مصائبهم

من أفضل سبيل التقرب إلى قلب الإمام عليه السلام، ذكر مصائب آبائه - وخصوصاً الحسين الشهيد عليه السلام - وكذلك مصائب الإمام نفسه؛ فإن هذا من موجبات العطاء الخاص، كما اتفق لدعبل الخزاعي . . ولتكن رقة القلب عندها، لا مقدمة لطلب مادي، فإن الأمر أجلّ من ذلك، عملاً بقول الشاعر:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عينك لأجلك باكية

٣١ - صلاة أول الوقت

احرص على صلاة أول الوقت - وخاصة في الحرم - فإن الانشغال بالزيارة وقت الفريضة، قد لا يرضي الرب المتعال، حيث جعل الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً . . . وحالة إمامنا الشهيد في يوم عاشوراء خير برهان على ذلك.

٣٢ - الشكوى من قسوة القلب

إذا وجدت قساوة في القلب طوال فترة الزيارة، فارفع أمرك إلى المعصوم، فلعلّ هناك ما أوجب جفاء بينك وبين المعصوم، وهو خير الأطباء لشرّ المرضى، ومرض القلب الباطني لا يُقاس بمرض القلب الصنوبري! . . . وليعلم أنه في مثل هذا المورد وغيره، فإنه لا استقلالية للمعصوم في قبال الله تعالى، فهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، ولطالما دعوناهم من خلال وجاهتهم عند الله تعالى في الشفاعة لديه.

٣٣ - زيارة أهل القبور

حاول أن تزور الذين دُفِنوا بجوار المعصوم، فإن زيارتهم إكراماً لجوارهم للإمام المعصوم، من موجبات التفاتة الإمام قطعاً، وخاصة من ذوي المعرفة الخاصة. . . ولا شك أن زيارة أهل القبور دائماً، من موجبات نزول البركات الإلهية، وخاصة عند القيام بالمأثور عند زيارة أهل القبور.

٣٤ - الاحتراز من الأسواق

أقلل من الذهاب إلى الأسواق، فإنها من مظان قسوة القلب، وتشتت البال، وفي مظان الوقوع في النظر المحرم.. . وحتى مع الذهاب لا بدّ من قصد القربة لشراء الهدية المأمور بها شرعاً، فإن أبغض البلاد إلى الله تعالى هي الأسواق، كما أنّ أحبّ البلاد إلى الله تعالى هي المساجد.

٣٥ - الهمّ الأوحد

لا يكن الهمّ الأوحد هو قضاء الحاجة، بحيث إذا رجعت من عند المعصوم من دون قضاء الحاجة تعيش حالة من الإحباط والحرمان.. . فإن هذا جهل بما ادّخره الله تعالى من الأجر الجزيل، والذي لا يُقاس ببعض صور المتاع العاجل.. . ولو كشف الغطاء لتمنّى العبد أن لو لم تُستجب له دعوة واحدة، لما يرى من التعويض الذي لا يُقاس بقضاء الحاجة الفانية.

٣٦ - الصلوات الماثورة

القيام بالركعتين - برجاء المطلوبة - من قراءة سورة (يس) و(الرحمن) في ركعتين، والدعاء بعدها بما شاء العبد.. . وكذلك الإتيان ببعض الصلوات المعروفة: كصلاة الاستغاثة بالزهراء عليها السلام، وصلاة الحجّة عليها السلام، وصلاة جعفر الطيار يوم الجمعة.. . ومن المناسب جداً الإتيان بالصلوة الخاصة للمعصوم، وذلك في مشهده، وإهدائها إليه.

٣٧ - استصحاب الإقبال

محاولة استصحاب حالة الإقبال في الحرم، وعدم تضييع الهبات فيها، بمجرد الخروج من الحرم، فإن هذا نوع كفران لنعمة الإقبال، مما قد يُوجب عدم عود الحالة ثانية. . فإن البعض بمجرد خروجه من الحرم، فكأنه استدبر الإمام وغاب عنه حقيقة، والحال أن روح الإمام المعصوم حقيقة ثابتة، مشرفة على محبيه أينما كانوا، فكيف بزائريه؟! .

٣٨ - العزم على ترك المعاصي

العزم العملي على الإقلاع عن المعاصي، بحيث يرجع إلى وطنه ويحسّ الناس بأنه قد رجع بنور جديد. . فهذا خير ترويج لزيارة المعصوم عليه السلام، حيث يتحقق في حقه: «كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم»^(١).

٣٩ - عدم التعويل على الحالات القلبية

عدم التعويل على حالات الإقبال القلبي فقط، مجرداً عن العمل، فإن هذه الحالات من لوازم الضيافة الإلهية عند المعصوم، ومن الطبيعي أن تزول بعد مغادرة تلك المشاهد. . ومن المعلوم أن تغيير الملكات الباطنية، أهم من الإقبال القلبي المتقطع، وهذا مما يوجب البُعد عن العجب المهلك.

(١) شرح الأخبار: ج ٣، ص ٥٠٦.

٤٠ - الإكثار من دعاء الفرج

الإكثار من الدعاء للفرج - وخاصة عند حالة الإقبال الشديد - إذ لعلّ في تلك الساعة يكون الإمام المنتظر عليه السلام أيضاً حاضراً في المشهد المبارك، فيدعو لداعيه بالتأييد. . وفرق بين دعاء الإمام وغيره، إذ إن دعاء الإمام لا يُردّ، كيف وهو الحبل المتّصل بين الأرض والسماء، وهو الذي يمينه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء.



الوصايا الاربعون في الآداب الباطنية لإحياء الشهر الكريم

إن المؤمنين ينتظرون عاماً كاملاً، ليستقبلوا هذه الليالي المباركة التي تُعدّ محطة نقلة نوعية لمسيرة العبد في الحياة.. ومن هنا استعمل القرآن الكريم التعبير بـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾^(١) والتي تُستعمل عادة لبيان حقيقة القيامة وما يجرى فيها من أهوال، ومن هنا يعلم أن حقيقة ليلة القدر من الغيب الذي لا يحيط البشر بكنهه!..

ولكن الملاحظ - مع الأسف - أن الفرصة فيها تمرّمرّ السحاب، وهذه طبيعة بني آدم الملازمة للخسران، كما يذكره القرآن الكريم.. والشيطان له همته في أن يصرف العبد عن المسيرة الصحيحة والتوبة الصادقة في مثل هذه الليالي المصيرية، والتي من الممكن أن تبدّل ديوان العبد من الشقاء إلى السعادة.. ومن هنا نودّ أن نعرض لكم هذه التوصيات العاجلة بهذه المناسبة:

(١) سورة المُرسَلات: الآية ١٤.

١ - عظمة ليلة القدر

إن البعض يعتقد بأن عنوان ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(١) خاص بالأجر، والحال أنه من الممكن أن يحقق العبد القُرب الذي يريد أن يحققه تجاه الربّ المتعال خلال ثلاث وثمانين سنة من المجاهدة، وذلك بالالتجاء إلى ربّه في تلك الليلة التجاء العبد الغريق، فيحَقِّق من درجات القُرب الروحي - لا الأجر المادي حتى الأخرى منه - ما لا ينال في سنوات كثيرة، ومن الممكن أن نقول بأن الله تعالى جعل تلك الليلة خيراً من ألف شهر، وهذا لا ينافي أن تكون هذه الليلة للبعض أرقى من آلاف الشهور، لأن الآية لم تحدّد السقف الأعلى للفضل!

٢ - ليلة القدر وحركة الحياة

ليلة القدر مرتبطة بحركة الإنسان طوال العام، فلا يتوقع أن يستفيد الغافلون طوال العام الكثير من المكاسب الاستراتيجية في هذه الليلة، فإن شأنها شأن الصلاة الخاشعة، فالذي لم يُحسن فن التعامل مع ربّه خارج الصلاة، لا يمكنه أن يكون مقبلاً في خصوص صلاته مبتورة عن حركته في ساحة الحياة!.. والذي كان بعيداً عن ربّه طوال العام، كيف يحدث حركة جوهريّة في ليلة واحدة؟!.

(١) سورة القدر: الآية ٣.

٣ - الاستعداد لليلة القدر

من الضروري أن نتهيأ لمثل هذه الليلة الحاسمة قبل دخول الوقت: تقليلاً من الطعام في أول الليل، وإراحة للبدن قبلها في النهار، وتقليلاً للمعاشرات المستلزمة للدخول في الحرام أو ما لا يعني العبد، ومراقبة للسلوك في نهار ليلة القدر، وعدم التورط في أية معصية ولو صغيرة في خصوص هذه الليالي والأيام؛ وذلك ليتمكن إحياء تلك الليلة المباركة كما يريد الله تعالى بجدّ ونشاط. . . ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان يشدّ المئزر في مثل هذه الليالي، ليتفرّغ لأعلى المكاسب والمواهب في عالم الوجود! . . . ومن المناسب للمؤمن أن يكون في حلّ من الارتباط الوظيفي أو الدراسي - مع الإمكان - تشبّهاً بنبيّ الأمة ﷺ.

٤ - الاهتمام بالجانب الكيفي

من الضروري أن نهتم بجانب الكيف إلى جانب الإحياء الكميّ في تلك الليلة، فإن ركعتين مقتصدتين خير من قيام الليل كلّهُ والقلب ساهٍ، كما يُفهم من بعض الروايات. . . فالمهم أن يمتلك العبد تلك الساعة الذهبية في هذه الليلة، والتي يرقّ فيها قلبه ويجري دمه، ليُقال له: دونك دونك، فقد قصد قصدك! .

٥ - الجمع بين الخلوة والجلوة

من اللازم الجمع بين الإحياء في جمع من المؤمنين - فإن طبيعة الاجتماع مع الإخوة لها تأثيرها في فتح أبواب الرحمة

وتشديد الاستجابة، كما يُفهم من الروايات الواردة - وبين المناجاة في الخلوات حيث إنها أبعد من الرياء، وفيها تعويد للعبد أن يتعلّم طريقة الحديث العاطفي البليغ مع مولاه، حيث شاء من ساعة ليل أو نهار.

٦ - الاهتمام بدعاء الفرج

من أجلّ الأعمال وأرقاها في هذه الليلة هو الدعاء لفرج المولى الغريب ﷺ الذي بفرجه تنكشف الغمّة عن قاطبة سكان الأرض، ولا بدّ من المبالغة في ذلك كمّاً وكيفاً. . وهنيئاً لمن ردّ إمام زمانه له الجميل، وذلك من خلال دعوته التي لا تردّ، إذ شتان بين دعوة أفضل خلق الله تعالى في زمانه، وبين أكثرهم بُعداً منه! .

٧ - علامة القبول

من أفضل علامات القبول لمجمل أعمال شهر رمضان وخصوصاً ليلة القدر، هو الإحساس بالتحوّل الجوهرى من الأعماق، لا تركاً للحرام فحسب، وإنما كرهاً واستقذاراً للمنكر. . فإن من وصل إلى هذه الدرجة من الإحساس بقذارة المعصية، فإنه سوف لن يهّم بالحرام، فضلاً عن الاقتراب من حدودها.

٨ - التحليق التصاعدي

لا بدّ من التحليق التصاعدي في ليالي القدر، ولعلّ

الحكمة في سبق ليلة القدر الكبرى بليتين - وهي ليلة الجهني^(١) التي أشار إليها المصطفى ﷺ - هو خلق مثل هذا الاستعداد النفسي في نفوس العباد.. وعليه فمن تكاسل في الليلتين السابقتين، فقد لا يوفق لتحقيق الجو الفاعل والمغيّر لمسار العبد في حركة الحياة، في تلك الليلة المصيرية من السنة.

٩ - كتابة السعادة الأبدية

من المهم أن يستذكر العبد حقيقة أن المقدرات تكتب في ليلة القدر، ويا ليت الأمر كان منحصراً بما يعود إلى الدنيا: مرضاً وفقراً وموتاً وما شابه ذلك، بل إن الأمر يتعدى ذلك ليشمل السعادة الأبدية ورضا المولى عنه، والذي يترشح منه كل بركة في هذا الوجود.. ومن هنا كان على العبد أن يعيش حالة الوجل والخجل - وخاصة قبيل الفجر، حيث ينتهي السلام الإلهي - وخاصة في فجر الليلة الثالثة والعشرين، حيث يحسّ العبد بانتهاء تلك الهالة القدسية التي كان يلفّ الشهر الكريم من أوله.

١٠ - ملكوت ليلة القدر

على العبد أن يبحث دائماً في سيره المعنوي عن ملكوت الأمور، ومنها الطاعات، فهل فكّرنا في ملكوت ليلة القدر؟!.. إذ إنه لا نعلم ليلة تشهد ازدهاماً لمواكب الملائكة والروح كتلك

(١) انظر مصباح المتهجد: ص ٦٢٧.

الليلة المباركة.. ومن الممكن أن يصل العبد إلى مثل هذا الملكوت المحجوب عن عامة الخلق، وذلك بتقديم الطلب الأكيد إلى مولاه، مع الصدق في إثبات العبودية له، ليريه شيئاً مما أرى خليله إبراهيم عليه السلام من ملكوت السماوات والأرض.. فإن الناس لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فكيف باطن الآخرة؟!.

١١ - إقبال الشهر

إن من أفضل ما يروى لنا عن عظمة هذا الشهر الكريم: ما رواه علي عليه السلام عن النبي ﷺ إذ خطب المسلمين ذات يوم، فابتدأها ﷺ بذكر إقبال الشهر على الصائمين، ومن المعلوم أن الإقبال متفرّع على اشتياق المقبل لمن أقبل عليه، فكان الشهر المبارك هو الذي يشتاق إلى صائميهِ!.. فيقبل عليهم بالجوائز الكريمة، ومنها: المغفرة في أوله.. فطوبى لمن ضمن الرضوان في آخره!.

١٢ - الانتساب إلى العظيم

إن الانتساب إلى العظيم بالذات، يوجب العظمة بالعرض، فهذه الأنفاس التي لا قيمة لها في باقي الأيام، تتحوّل إلى تسبيح «أنفاسكم فيه تسبيح»^(١)!.. والنوم الذي أخو الموت، يتحوّل إلى عبادة «ونومكم فيه عبادة»^(٢)!.. وخلق فم الصائم ذو

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣٥٦.

(٢) المصدر نفسه.

الرائحة الكريهة، يتحوّل إلى ما هو أطيب من المسك! .. كل ذلك من بركات الضيافة الإلهية في هذا الشهر، فطوبى لمن تعرّض لها بشرطها وشروطها! .

١٣ - طلب التوفيق

إن النبي ﷺ يدعونا لأن نسأل الله تعالى التوفيق ل: (صيام هذا الشهر، وتلاوة كتابه) .. وهذا يشعر معنى دقيقاً، وهو أن الصيام المقبول، والقراءة المؤثرة، لا يتمّ إلا بتسديد ومباركة من المولى الكريم، إذ كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء!! .. ثم يذكر المصطفى ﷺ أمراً مخيفاً حيث يقول: «فإن الشقي من حُرْم غفران الله في هذا الشهر العظيم»^(١) .. أو هل يمكن أن نكون من الأشقياء في هذه السنة؟! .

١٤ - رمزية الصوم

إن للصوم لغته الرمزية الواضحة، فالنبي ﷺ يريد منا أن نتقل من ظاهر الصوم إلى باطنه .. ومنه تذكّر المعاني التي ترتبط بالصيام، ومنها: أهوال القيامة من جوعها وعطشها، وهذا بدوره يدعو الصائم إلى أن يُعدّ العدة ليتجنّب مثل تلك الأهوال، وذلك بالعمل الدائب لما يخفّف عنه الحساب في ذلك اليوم العصيب! .

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣٥٦.

١٥ - الصلاة هي المحطة الكبرى

إن النبي ﷺ يذكر بالمحطة العبادية الكبرى في الحياة (وهي الصلاة) حتى في شهر رمضان، فإن العبد يزداد سموّاً وتحليقاً في صلاته، وذلك عند المناسبات الزمانية والمكانية المتميزة.. فمن أهم ثمار الأزمنة والأمكنه المباركة: هي الصلاة الخاشعة التي كانت تمثل قرّة عين الرسول ﷺ حيث يقول عنها في هذه الخطبة: «وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عزوجل فيها بالرحمة إلى عباده: يجيبهم إذا ناجوه، ويلبهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه»^(١).

١٦ - البُعد الفردي والاجتماعي

إن الشريعة الخاتمة تربط دائماً بين البُعد الفردي للعبادة وبين البُعد الاجتماعي لها، فلا يريد منّا أن نعيش حالة الرهبانية والصومعة، بل يريد منّا أن نعيش حالة العبودية الجامعة، ومنها الاهتمام بأمور المسلمين، سواء في طعامهم المعنوي (إرشاداً وهداية) أو طعامهم المادي (إفطاراً للصائمين).. ومن الغريب هذا الجزاء العظيم الذي يذكره المصطفى ﷺ في هذا الشهر حيث يقول: «من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣١٧.

١٧ - الشعار الأكمل

إن من الضروري أن نرفع في كل سنة شعار: (خير رمضان مرّ علينا).. فمن يروم القمم العالية، عليه بالنيّة الجازمة والمحددة للوصول إلى تلك القمم!.. ولنعلم أن هناك فرقاً واضحاً - عند أهله - بين صوم العوام (وهو الكفّ عن الطعام والشراب) وصوم الخواص (وهو الكفّ عن المحارم كلها) وصوم خواص الخواص (وهو الإعراض عمّا سوى الله تعالى).. فلنتأمل هذه الدرجات الشاسعة، لنرى ما هو الجديد في صيام هذا العام.. فإن المغبون من تساوت تساوت أعمال رمضان مع رمضان السنة السابقة!!

١٨ - نوعا ختمة القرآن

إن من المناسب جداً أن نجعل لأنفسنا ختمتين: ختمة لطلب الأجر العظيم في شهر رمضان المبارك، إذ تُعدّ آية منها بختمة في غيره من الشهور، وختمة للتدبّر والغور في معاني الآيات الكريمة، ويا حبّذا لو كانت قراءتنا من مصحف مفسّر، ولو على مستوى شرح الكلمات المبهمّة لدينا، لئلا نقرأ كتاب ربّنا من دون وعي لظاهره فضلاً عن باطنه.. ومن المعلوم أنّ شهر رمضان ربيع القرآن، فلا تستغرب أن يخصّك الله تعالى بنفحات علميّة خاصة في هذا الشهر الكريم، فيما لو تعرضت لذلك بصدق وإخلاص في الطلب، فقد يفتح لك ما لم يفتح حتى على مفسّري الكتاب العزيز.

١٩ - حليّة المأكّل والمشرب

إننا مطالبون بحليّة المأكّل والمشرب دائماً، ولكن مع ذلك لا بدّ من بذل عناية زائدة في هذا الشهر الكريم، لئلا نأكل الحرام أو المشتبّه، وخاصة في هذا الزمان الذي دخل فيه الحرام أو النجس، في تركيب مأكولات كثيرة، وهي التي تُصدّر إلى بلاد المسلمين!.. وليعلم أن الطعام الحرام يتحوّل إلى طاقة في البدن، من خلالها نقول ونفعل.. أو هل يُرجى بعد ذلك أن تولد هذه الطاقة المستمدّة من الحرام (السُّحت) شيئاً يقربنا إلى الله تعالى؟!..

٢٠ - استغلال الوقت

إن أعمارنا ثمينة دائماً، ولكن الوقت في شهر رمضان له قيمة مضاعفة.. إذ إن: الدعاء فيه مقبول، والأنفاس فيه تسيح، والنوم فيه عبادة.. وعليه، فلا بدّ من التحكّم في الزيارات الرمضانية، من حيث: الأشخاص الذين نزورهم، ومن حيث المدة التي نقضي فيها معهم، ومن حيث الموضوع الذي نتناوله.. فإننا محاسبون على هذه اللحظات الثمينة.. وليس من العيب أبداً أن يكون الإنسان بخيلاً في وقته وعمره، فلا يعطيه إلا لمن يستحقّ ذلك.

٢١ - الإخلاص في الإطعام

إن كثيراً من الموائد الرمضانية لا يُراد بها وجه الله عزّ وجل، فيغلب على بعضها عنصر: المباهاة، أو المجاراة، أو

المداراة.. ومن المعلوم أن ما لم يكن لوجهه تعالى، فهو مردود إلى العبد وموجب لحسرتة يوم القيامة.. فلنختار لدعوة الإفطار من يمكن التقرب بهم إلى الله عز وجل، ك: الأرحام، أو من نفرح همهم بذلك، أو المساكين الذين لا يسألون الناس إلحافاً.. وليكن شعارنا في ذلك، شعار أهل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(١).. وبذلك ينطبق علينا ذلك الأجر العظيم، المتمثل فيما روي عن الصادق عليه السلام: «أيما مؤمن أطعم مؤمناً ليلة من شهر رمضان، كتب الله له بذلك مثل أجر من أعتق ثلاثين نسمة مؤمنة، وكان له بذلك عند الله عز وجل دعوة مستجابة»^(٢).

٢٢ - مراقبة النظر

إن ممّا يُؤسف له أن قنوات الإعلام، تتفنن هذه الأيام في عرض المسلسلات الخالية من روح التربية، بل المفسدة في كثير من الحالات، تحت غطاء البرامج الرمضانية، ومن المعلوم أن الانشغال بما لا يفيد - دنيا ولا آخرة - يقسّي القلب، ويقطع الرزق، ويسقم البدن، كما يفهم من مفهوم بعض الروايات.. ولطالما أوقعنا بأيدينا فلذات أكبادنا في الحرام أو مقدّمات الحرام، فمن المسؤول عن ذلك يوم القيامة؟!.. أو هل يحقّ لنا

(١) سورة الإنسان: الآية ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣١٦.

بعد ذلك أن نعتب على الزمان وأهله؟! .. فنحن كثيراً ما نكون من مصاديق قول الشاعر:

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له إِيَّاكَ إِيَّاكَ أن تبتلّ بالماء

٢٣ - التملّي من الطعام والشراب

إن التملّي من الطعام والشراب - وخاصة عند الإفطار - من موجبات تكاسل البدن عن العبادة وطلب العلم . . فمن المناسب أن يوزّع الصائم طعامه بين وجبتين: الإفطار والسحور، وخاصة أن الاستيقاظ لتناول الطعام ساعة السحر، من موجبات التوفيق القهري للقيام بحقّ الله تعالى في جوف الليل، وقد ورد: «إن الله وملائكته يصلّون على المستغفرين، والمستسحرين بالأسحار»^(١) والمراد بالثاني الذين يتسحرون في هذا الشهر الكريم.

٢٤ - الجوع وسوء الخلق

إن البعض يتذرّع بالصيام، لسوء الخلق مع أهله، والتقصير في عمله الوظيفي . . والحال أن جوهر شهر رمضان يتمثل في عملية كفّ النفس عن الحلال، فضلاً عن الحرام، ليتدرّب العبد على السيطرة على جوارحه وجوانحه . . أو هل يكفي الكفّ عن الطعام والشراب - وهما مباحان في الأصل - وعدم الكفّ عن الحرام الذي هو حرام في كل حال؟! .. ولهذا جعل النبي ﷺ أفضل الأعمال في هذا الشهر، الورع عن المحارم.

٢٥ - تصفية الحسابات

على الصائم أن يصقّي حساباته مع الخلق والخالق.. فكم من الجميل أن يصقّي حسابه المالي (كالخمس وردّ المظالم) والعبادي (كقضاء العبادات).. ومنه الاستحلال ممّن ظلمهم طوال العام، سواء داخل الأسرة، أو خارجها.. فإن من موجبات عدم ارتفاع الدعاء في هذا الشهر الكريم هو الشحناء بين العباد، وخاصة بالنسبة لمن بادر بالظلم.

٢٦ - الدعاءان المميزان

من المعالم الدعائية المتميّزة في هذا الشهر اثنان: دعاء الافتتاح، ودعاء أبي حمزة الشمالي، فإنهما ينقلان العبد إلى أجواء متميّزة من الأنس برّب العالمين (تدرك ولا توصف).. فهنيئاً لمن جعل الأول ورد أول ليلته، ليعمّق في نفسه حالة الارتباط بالقيادة الإلهية المتمثلة في وليّه الأعظم ﷺ.. وجعل الثاني ورد آخر ليلته، ليكون نورهما جابراً لكلّ ظلمة فيما بينهما، في ليله أو نهاره.

٢٧ - التعبير القرآني عن القدر

القرآن الكريم استعمل عبارة (ما أدراك) غالباً في الأمور التي لا تدركها الحواس، ولا يحيط بها العقول.. مثل: (سقر، يوم الفصل، يوم الدين، القارعة).. وعليه، فإن استعمال التعبير نفسه بالنسبة إلى ليلة القدر، كاشف عن أهمية هذه الليلة، فكأن عقولنا لا يمكنها أن تستوعب حقيقة تلك الليلة، كما أنها عاجزة

عن درك كنه يوم القيامة . . أولاً يكفي ذلك بياناً لعظمة ليلة تساوي عمر الإنسان، وهو سالم عامل بما أمر الله تعالى، أي أكثر من ٨٣ سنة؟ . .

٢٨ - حقيقة سلامة الليلة

التعبير بـ ﴿سَلَّمُ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾^(١)، يوحي بأن الله تعالى يحجب عن عبده مصادر الشرّ ومنها الشيطان . . ومن هنا يجد الإنسان في ليلة القدر سلاسة وسهولة في التوجّه إلى العالم العلوي، بما لم يعهده من نفسه في غيرها من الليالي . . وعليه، فإن المغبون من تعرّض لمثل هذا الظرف المتميّز، ولم يخرج منه بالمغفرة الشاملة . . وقد ورد: أن (من أدرك ليلة القدر فلم يُغفر له فأبعده الله).

٢٩ - حقائق الليالي الثلاث

لا ينبغي التكاثر في الليالي الثلاث، فإن الله تعالى أخفى ليلة القدر الحقيقية في تلك الليالي، وقد ورد في بعض الروايات أن التقدير في الليلة التاسعة عشرة، والإبرام في الليلة الحادية والعشرين، والإمضاء في الليلة الثالثة والعشرين . . وهذا يكفي حافزاً لأن يستنفر الإنسان كل قواه في تلك الليالي لئلا يكون صفر اليدين في قلب

(١) سورة القدر: الآية ٥.

شهر رمضان (كما روي التعبير به عن ليلة القدر) وما قيمة جسد لا قلب فيه ؟ . .

٣٠ - مقياس التوفيق

البعض يقيس توفيقه في ليالي القدر بكثرة البكاء والتضرّع . . والحال أن المطلوب هي حالة الإنابة والتوبة الصادقة، والندامة على ما مضى، ولو اكتفى صاحبها بالتباكي، والتخشع . . فإن الله تعالى لا ينظر إلى صورنا وأبداننا، وإنما ينظر إلى قلوبنا . . ومع ذلك فإنه قد ورد أنه: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»^(١).

٣١ - التأسّي بالنبي ﷺ

على المؤمن تأسياً بالرسول الأكرم ﷺ أن يعتكف في العشرة الأخيرة، ولو اعتكافاً روحياً، ويحاول أن يكون متميزاً في ليله ونهاره، فإن من نجح في أن يكون متعبداً بين يدي الله تعالى في عشرة أيام، فإن أرضية النجاح متوفرة لأن تكون كذلك طوال عامه، وهذه هي الثمرة الكبرى لليلة القدر.

٣٢ - الأطفاف صاحب الأمر

من أهم أعمال ليلة القدر: الالتفات المستمر إلى الأطفاف الإلهية التي تجري على يدي صاحب الامر ﷺ . . فإنه المهتم بأمر أمة جده ﷺ في عصر أصبحنا فيه غثاءً كثغاء السيل، وقد

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ٨١.

تداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها! .. فلنكثر من الدعاء بتعجيل فرجه، وهنيئاً لمن استجاب الله تعالى دعاه في ذلك، وأذن لوليّه الأعظم أن يدعو له .. أو هل تبقى خيبة بعد ذلك؟! ..

٣٣ - استقبال المقدرات

لا شك بين المسلمين أنّ ليلة القدر، هي ليلة ثابتة في كل رمضان إلى يوم القيامة، ولا شك أن الملائكة تنزل في كل ليلة قدر، بمقدرات الخلق أجمعين بمقتضى قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾^(١) .. فيا ترى من هو ذلك الذي يستقبل تلك المقدرات؟! .. إذ إن لكل نازل من ينزل عليه .. أو هناك أحد غير المعصوم يستحق هذه الرتبة السامية؟! .. ومن هنا عندما قال الإمام الصادق عليه السلام «إن الله يقضي فيها مقادير تلك السنة، ثم يقذف به إلى الأرض»، وقال له الراوي: إلى من؟ .. فقال عليه السلام له مستنكراً: «إلى من ترى؟! .. يا عاجز أو يا ضعيف! ..»^(٢).

٣٤ - التهيئة النفسية

لا بدّ من التهيئة النفسية المسبقة قبل ليلة القدر، فنعطي لأبداننا قسطاً من الراحة، ولا نكثر من الطعام في أول الليل، فإن هذا من موجبات الثاقل .. وقد روي أن الزهراء عليها السلام لم

(١) سورة القدر: الآية ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ٢٣.

تكن تدع أهلها ينامون في تلك الليلة، وتعالجهم بقلة الطعام. .
فكانت تأمرهم بالنوم نهائراً لئلا يغلب عليهم النعاس ليلاً،
وتقول: «محروم من حُرْم خيرها»^(١).

٣٥ - الرحمة النازلة على الجماعة

من المناسب أن يجعل المؤمن لنفسه برنامجين في ليالي
القدر: برنامج خلوة مع ربّه، وخاصة في ساعة السحر الملاصقة
للفجر، وخاصة في الليلة الأخيرة - حيث تُختَم مَلَقَات العباد -
فيعيش الإنسان فيها حالة الاضطراب والوجل لئلا يكون من
المحرومين. . وبرنامج الانضمام إلى جماعة من المؤمنين
الداعين، فإن الرحمة الإلهية غامرة للجماعة المؤمنة، بما لا تنال
في المجالس الفردية. . ومن المناسب أيضاً اصطحاب من يمكن
من الأهل والأصدقاء لمجالس التنبيه والإيقاظ، فلعلّ الله تعالى
ينقذ بك نسمة من النار!.

٣٦ - ثمرة التقوى

ليس كل من صام شهر رمضان يحقق الهدف المُراد منه
ويحوز على ثمرته، إن شهر رمضان بمثابة بستان فيه أشجار، وقد
يعطي هذا البستان ثمرته وقد لا يعطي. . فعلينا أن نعلم ما هي
ثمرة هذا البستان، فليست الثمرة هو الكفّ عن الطعام والشراب،
إنما هي التقوى. . وليس المراد بالتقوى في شهر رمضان فحسب،

(١) دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٨٢.

وإنما هي حالة - إذا وُجدت في الإنسان - تُوجب حالة من التعالي والتقدّس والطهارة، تستمر معه إلى آخر أيام السنة.

٣٧ - حرمان بعض الصائمين

إن في قوله تعالى في آية الصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، إشارة إلى أن شهر رمضان مقتضٍ، وليس بعلّة تامة؛ بمعنى أن الصوم يهيئ الأجواء.. فهنالك ضيافة إلهية في شهر رمضان، والناس فيها متفاوتون من حيث الاستفادة من هذه الضيافة، فكل بحسبه.. فإن الذي يدخل قصر السلطان بإمكانه أن يتنعم بأنواع الطعام الذي على مائدته.. ولكنه قد يكون محروماً، إذا كان يجلس في زاوية من زوايا القصر، بعيداً عن هذه المائدة، فيخرج من ذلك القصر دون أن يأكل لقمة واحدة من أطعمة ذلك السلطان.. ومن هنا يتّضح لنا معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمّ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء»^(٢).. فيا له من حديث غريب ومخيف!.. إنسان يتعب ليلاً بالقيام، ويظمّ نهاراً بالصيام؛ وهو لم يدخل بحر شهر رمضان ولا خطوة واحدة!..

٣٨ - الواجب الاجتماعي

إن شهر رمضان شهر التقرب إلى الله تعالى وشهر الإنابة

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) سنن الدارمي: ج ٢، ص ٣١.

والمغفرة، ولكنه لا يقتصر على ذلك فحسب!.. ومن هنا نلاحظ أن نبي الرحمة ﷺ يمزج القلب بالقلب، والباطن بالظاهر، فيحث أيضاً بالإضافة إلى ذلك، على أن لا ينسى الإنسان واجبه الاجتماعي، فيدعو لإفطار الصائمين، والتحنن على الأيتام وإطعام الفقراء والمساكين.. إن النبي ﷺ يريد بذلك أن يكون الصائم متكاملًا في كل أبعاد وجوده، فالإسلام يريد منك أن تكون عابداً زاهداً، ومتواصلاً، وكافلاً ليتيم، ومساعداً لفقير، ومجاهداً في سبيل الله تعالى.. والذي لا يعمل بوظيفة من الوظائف، فهو بمثابة الإنسان الناقص في خلقته، ومثله مثل امرأة جميلة بوجهها، ولكنها قصيرة في يديها ورجليها، فهذه ليست جميلة.

٣٩ - الضبط من أول الشهر

على المؤمن أن يضبط برامجه في شهر رمضان من أول ليلة، فهو شهر متكامل، فينظر إلى أعمال الشهر كاملة، وإلى أعمال الليلة الأولى، وإلى الأعمال العامة في هذا الشهر، سواء صلاة ألف ركعة وغير ذلك من الأمور التي تُصلى وتُقام في كل ليلة.. لأنه إذا لم يبدأ من الليلة الأولى، وبدأ بهذا العمل في الليلة الثانية إلى ليلة الثلاثين؛ فإنه لن ينتفع منه النفع المقصود.. فهذا الأجر يُعطى لمن يقوم بهذا العمل، من أول ليلة إلى آخر ليلة.

٤٠ - ربيع القرآن

شهر رمضان هو ربيع القرآن الكريم، فبركات هذا الشهر

الكريم يوفق الكثيرون لختم القرآن الكريم، لا مرة واحدة بل مرّات عديدة؛ في حين لو أن الإنسان وزّع ما قرأه في هذه الفترة القصيرة على مدار أشهر السنة قبل شهر رمضان، قد لا يمكنه أن يتم ذلك، وليس هذا إلا ببركة هذا الشهر الكريم.. ولكن - مع الأسف - نلاحظ هذه الحالة من هجر قراءة القرآن الكريم، ولعلّ البعض من شوّال إلى آخر شعبان لم يختم القرآن الكريم إلا مرة واحدة، ولعلّ البعض لم يقرأ حتى جزءاً واحداً.. ومن هنا كان من المناسب للإنسان المؤمن أن يقف وقفة عاطفية مع القرآن الكريم، وأن يجلس جلسة اعتذار وبكاء، يبدي فيها تألمه على تقصيره في حقّ كتاب الله عزّ وجلّ.. فإذا أراد الإنسان أن يبدأ في ختمة القرآن الكريم، ليفتح القرآن على مصراعيه، ويضعه على صدره، ويتكلّم مع القرآن الكريم.. وليقل: يا كتاب ربّي، معذرة إليك!.. إني سأتلوك في هذه السنة حقّ التلاوة، بقدر ما يمكنني ذلك!.. فما المانع أن تخاطب القرآن الكريم، وها هو الإمام زين العابدين عليه السلام يخاطب هلال شهر رمضان: «أيها الخلق الدائب المطيع»^(١)!.. إن القرآن هو أولى بأن تخاطبه؛ لأنه يشهد عليك يوم القيامة^(٢).



٤١ - اللحظات الأخيرة

إنه لمن المناسب جدّاً استغلال اللحظات الأخيرة من الشهر

(١) إقبال الأعمال: ج ١، ص ٦٣.

(٢) إلى هنا تمّ عدد الأربعين وأضفنا الزيادة إتماماً للفائدة.

الكريم بالاستجداء من الربّ الكريم، وإكثار الدعاء والتضرّع إليه تعالى؛ فإنها من مواطن الإجابة.. حيث تتغيّر الأجواء وترتفع المائدة الإلهية: فلا يعدّ النوم عبادة، ولا النفس تسبيحاً، ولا الدعاء مُجاباً، ولا الأعمال مقبولة، والأهم من ذلك أنه يصير بين يدي الشياطين، التي تنفست الصعداء بعدما كانت حبيسة الأغلال، المملوءة بالغيظ، والتي تترقب هذه الفرصة للانتقام منه شرّ انتقام!.. فهل أعددنا العدة لهذه الحملة الشعواء؟!.

٤٢ - شهر الانتقام

شهر سُؤال يعدّ من أشحّ الشهور وأجفأها في التقربّ والعبادة.. فبعد سياحة عبادية راقية، متمثلة في أشهر الطاعة الثلاثة، تطلق الشياطين أخيراً أغلالها، وترتفع الملائكة؛ لنتنقم من العبد بعدما ارتقت نفسه في ملكوت رضا الإله عز وجل.. فمثل أحدنا كمثّل من تزوّد من غدیر ماء عذب، ليواجه صحراء قاحلة قاسية، لا يجد سوى السراب والنصب فيها.. غير أنه من الممكن أن تتبدّل هذه الأرض القاحلة إلى واحة غناء.. وذلك بالعمل المستمر، والكدح الدائم من أول أيام شهر شوال؛ فهو يحتاج إلى متابعة ومراقبة.. وخير المراقبة المداومة على الاستغفار؛ فإنه ورد المؤمن الدائم، وليس من الضروري أن يكون عقيب ارتكاب المعصية.. إذ إن كل انشغال أو التهاؤ عن المولى - جل وعلا - يوجب الاستغفار.. ومن هنا ورد التأكيد على استحبابية الاستغفار - سبعين مرة - بعد صلاة العصر.. فإن ذلك كفيّل بأن يجعل المؤمن يحافظ على مستوى إيمانه وارتقائه

وتكامله . . فاصطناع الأجواء المناسبة في شهر شَوَّال، تُعدّ صورة صادقة للعبد المحبّ، الذي لا يطيق مفارقة محبوبه في كل الأحوال .

٤٣ - سرف يوم العيد

لا يختلف اثنان في حال الناس يوم العيد من: السرف، والترف، والتبذير؛ بحجة أن اليوم عيد فلنفعل ما نريد! . . والحال بأن ذلك ما هو إلّا وهم في وهم، فما الفرق بينه وبين فرح الأطفال الذين يترقّبون العيد؛ شوقاً للهدايا واللبس الجديد! . . فليس العيد لمن لبس الجديد؛ إنما العيد لمن آمن بالوعيد، وللمؤمن الذي وقّف للصيام والقيام، ونال المغفرة والرضوان . . فهنيئاً لهكذا إنسان!

٤٤ - الرضوان والغفران

إن هذا الشهر هو بالنسبة للبعض شهر المغفرة من الذنوب والعتق من النار، ولكن شتّان بين من حاز درجة الرضوان وبين من أخرج نفسه من بئر الظلمات والشهوات السحيقة! . . فما المانع أن يحاول الإنسان أن يخرج نفسه من هذه البئر في الليلة الأولى من الشهر الكريم، لكي يطلب من الله تعالى - بعد المغفرة والتطهر من الذنوب - أن يبلغه هذه الدرجة، ليحوز الرضا الإلهي، والاطمئنان النفسي، ويحقّق ما قاله علي عليه السلام في دعاء كميل: «اجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي بحبك متيمّاً»^(١).

(١) مصباح المتّهجد: ص ٨٥٠.

٤٥ - عبادة النوم

إن النائم لا حساب ولا كتاب عليه، ولكن لكون الصائم متقرباً إلى الله تعالى، فإنه يصبح وجوداً محبوباً إلى الله تعالى، ولو لم يقم بأي حركة.. مثله عند ربّه مثل الوالد الذي يلتذ بالنظر إلى قرّة عينه، سواء كان صغيراً، أو هو يدبّ على وجه الأرض.. ومع ذلك، فإن الإنسان قد يصل إلى درجة - حتى بعد انتهاء الشهر الكريم - يكون نومه عبادة، ونفسه تسبيحاً؛ لأنه وجود قريب ومنتسب إلى الله تعالى.. وهنيئاً لمن وصل إلى هذه الدرجة!.

٤٦ - قبول العمل

مما يقلق الإنسان قبول العمل، فترى المؤمن يفكر بعد كل عمل هل قبل عمله أم لا، وهل خالطه شائب، أم أنه كان خالصاً لوجه الله تعالى؟.. فإن الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).. ولكن في هذا الشهر تنقلب الموازين، وتخفف المقاييس، نظراً لأننا في الضيافة الإلهية، إذ ليس من طبع الكريم التدقيق في الحساب، والمؤاخذه على كل صغيرة وكبيرة.. فهنيئاً لمن اغتتم الفرصة في هذا الشهر الكريم!.

٤٧ - أفضل شهر مر علينا

نحن رفعنا في هذه السنة شعاراً مهماً، لو التفتنا إلى هذا

(١) سورة المائدة: الآية ٢٧.

الشعار لغير مجرى شهر رمضان: وهو أن نحول هذا الشهر إلى أفضل شهر رمضان مرّ علينا. . إن طبيعة الإنسان طبيعة استصحابية، فمن اعتاد على نمط معيّن من العبادة: من كيفية الصيام، ومن كيفية الصلاة، ومن كيفية الحج؛ فإنه يميل إلى المألوف الذي اعتاده. . فإذا لم يحدث بنفسه انقلاباً جوهرياً وتغييراً ماهوياً، فسيبقى على ما هو عليه. . ونحن نلاحظ أنه منذ أن كُلفنا إلى يومنا هذا، فإنّ معالم شهر رمضان في حياتنا معالم ثابتة: طريقة معيّنة في تلاوة القرآن، وطريقة معيّنة في إحياء الليل، وطريقة معيّنة في عملية الإفطار وما شابه ذلك؛ فإذا لم نوجد بأنفسنا تغييراً؛ سنبقى على حالنا، إذ يقول علي عليه السلام: «المغبون من تساوى يوماه»^(١)، ونحن نقول قياساً على ذلك: المغبون من تساوت أعمال رمضان مع رمضان السنة السابقة. . فهذه الأعمال الرمضانية إذا كانت على أحسن التقادير مساوية الأعمال للرمضانية الماضية، فنحن مغبونون! . . إذن، ماذا نعمل لنحقّق هذا الشعار؟ . .

٤٨ - الدعاء ساعة الإفطار

علينا أن نُكثر من الدعاء لفرج مولانا صاحب الأمر في ساعة الإفطار، وفي ساعة السّحر، وفي قنوت صلواتنا؛ لكي يذكّرنا الإمام في صلوات ليله، وعند إفطاره؛ وخاصة في ليلة القدر عندما تُعرض عليه أعمالنا. . فمن كان وفيّاً له، كان الإمام

(١) تاج العروس: ج ١٠، ص ١٩٠.

وفياً له .. ولندعو بهذا الدعاء الشريف دائماً: (اللهم!.. لا تنسني ذكره، والدعاء له)؛ لنحظى بهذا الشرف العظيم في ذكره (عج).

٤٩ - انتساب الشهر الى الله تعالى

إن شهر رمضان شهر الله بحقيقة المعنى .. فكما أن الكعبة بيت الله، والقرآن كتاب الله، فكذلك هذا الشهر المبارك، هو أيضاً شهر الله عز وجل .. والشيء إذا انتسب إلى الله عز وجل، اكتسب العظمة والخلود؛ لأنه منتسب إلى عظيم أزلي وأبدي، فيُضفي على ذلك الشيء أنواع رحمته وبركاته.

٥٠ - التقويم في أول الشهر

إن على المؤمن قبل أن يبدأ بشهر رمضان جديد، أن ينظر إلى السنة الماضية، فإن كان قد زاد في التقوى درجة، فهذا يعني أن شهر رمضان قد أعطى ثماره في العام المنصرم، وما عليه الآن إلا أن يشدّ الهمة للفوز بثمرة أفضل للعام المقبل، وهكذا في كل عام يكون المؤمن في تصاعد في درجات الكمال، وهنيئاً لمن كان كذلك! ..



الوصايا الاربعون في الآداب الباطنية لمجالس الحسين عليه السلام

إن موسم عزاء الحسين عليه السلام من المواسم التي من الممكن تحويلها من مجرد مناسبة إحياء ذكرى إمام شهيد، إلى محطة من محطات التكامل والتي يحتاجها كل مؤمن في حركة حياته . . . فكما أن قوى الشرّ في عالم الوجود من: الشيطان، والنفس الأمّارة، وبطانة السوء؛ تسعى لصرف العبد عن طريق الطاعة لربّ العالمين . . . فكذلك قوى الخير في عالم الوجود أيضاً تسعى لدفع العبد إلى عالم القُرب الإلهي والمتمثّل ب: ربّ الوجود الذي خلق الخلق لكي يُعرف، وبالفطرة السليمة التي أودعها في طينة الخلق، والجماعة الصالحة التي عبّر عنها في القرآن الكريم بالفتية الذين آمنوا، والأمة الداعية إلى الخير، وخير أمة أخرجت للناس .

ومن هذا المنطلق، أحببنا التنويه على ملاحظات مهمة في هذا المجال، وذلك لأنّ عطاء هذه المواسم كعطاء الشمس، فهي واحدة في أصل العطاء، ومتعددة في آثارها الخارجية، بحسب القابليات، واختلاف درجات المستقبلين لهذا العطاء .

وإليكم بعض ما أنعم الله تعالى علينا من الملاحظات في هذا المجال:

١ - الرصيد الفكري

إن كل حركة عبادية أو شعائرية تحتاج إلى رصيد فكري داعم لها أولاً، ومزوّد لحركتها ثانياً، وحافظ لها من كل انحراف ثالثاً. . . وعليه لا بدّ لتحقيق تلك الأهداف من استيعاب حقيقة الإمامة أولاً، ووظيفة الإمام ثانياً، وفلسفة النهضة الحسينية ثالثاً. . . إذ إن باستيعاب هذه المعاني يصل الإنسان إلى درجة التفاعل الواعي، وإلا فإن البكاء على مظلوم من دون معرفة انتسابه إلى مصدر الوجود، لا يصبّ في تغيير مسيرة العبد وسوقه إلى عالم الكمال، فكم من المظلومين قُتلوا بغير حقّ من شتى الملل. . . فإن من لوازم حبّ المولى، حبّ أحبائه، والتألم لما جرى عليهم، وهذه من لوازم الحبّ البديهية.

٢ - فلسفة الحركة

إنه لا بدّ من استيعاب فلسفة الحركة الحسينية من بداياتها إلى نهاياتها، والتمثّلة بتحقيق العبودية الشاملة لله ربّ العالمين. . . فإن سيّد الشهداء كان كما أراد والده علي عليه السلام، لهجاً بذكر الله تعالى، متيماً بحبّه، وهو ما تجلّى منذ صغر سنه، إلى سنوات مرافقته لأبيه، إلى حكومة أخيه الحسن عليه السلام، إلى حركته من المدينة إلى كربلاء، إلى أن قضى نحبّه في ميدان المعركة. . . فكان همّ القرب الإلهي هو الغالب على كلّ حركاته

صلوات الله تعالى عليه، ومن هنا جعل ساعة مقتله ساعة المناجاة مع ربّ الأرباب، وحوّل موضع مقتله إلى محراب للعبادة، حيث لخصّ فلسفة حياته ومماته بقوله: «إلهي رضا بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود لي سواك»!..

فعلى كل من يدّعي الولاء الحسيني، أن ينظر إلى هذا الشعار الحسيني، ويرى مدى مطابقتها حركته في الحياة لهذا الشعار المقدّس.

٣ - بركات الموسم

إن موسم عاشوراء بل محرّم بل شهري العزاء، بمثابة الرياح الموسمية الدافعة للسفينة إلى الأمام، فإذا كانت هنالك سفينة راسية غير مثقوبة الجوانب، وشرّاع مرفوع غير ممزّق الأطراف، فإن الرياح الموسمية تدفعها إلى الأمام.. ولكن ما بال سفينة فاقدة لما ذكر، فإن الرياح قد تضرّها أكثر مما قد يفيدها!.. فعلى كل فرد منّا أن يجهّز سفينته قبل المواسم، لتأتي الرياح ببركات المعهودة.

٤ - فقه الآفات

إن الالتفات إلى فقه الآفات ضروري جداً، لضمان نجاح الوصول إلى الأهداف المنشودة في الحياة.. ولا شك أنّ الحركة العاطفية مما يمكن أن تبلى بالآفات أيضاً، فمن الآفات ترضية النفس بالحركة العاطفية - التي لا تستلزم كثيراً من العناء عند الإحساس بالتقصير - وبالتالي يتقاعس العبد عن الحركة

التغييرية العملية، والتي تحتاج إلى شيء من المعاناة والمجاهدة..

ومنها اقتراب النفس من دائرة العجب، فإن الذي تمرّ عليه الحالات الروحية المتألّقة، قد يظن أنه وصل إلى دائرة القُرب من الحقّ المتعال، ووصل إلى نهايات المطاف، والحال أن المقياس الأول والأخير في هذا المجال، هو الرصيد العملي الذي له خلفية عاطفية، لا خلفية مجردة من كل رصيد!

٥ - فقد المكاسب

من المشاكل التي يعاني منها كل الذين وفقهم الله تعالى لإحياء ذكرى أبي الأحرار عليه السلام، أنهم يفقدون معظم المكاسب الروحية بعد انتهاء الموسم مباشرة في أغلب الأحيان، ولا شك أن هذه خسارة كبرى، بأن يتراجع العبد عمّا كان عليه، والحال أن من تساوى يومه فهو مغبون في فكر أهل البيت عليهم السلام..

والحلّ الأساس هو إيصال هذا الماء الرويّ إلى جذور النفس، لا تندية التربة المحيطة بالشجرة، والحاصل في غالب الأوقات هو الثاني لا الأول.. أما كيف نوصل ماء التوحيد والولاية إلى أعماق النفس، فيحتاج إلى حديث مفصّل في محلّه، ولكن مجمله يتلخّص في أمرين: إزالة عوائق إيصال المدد في النفس بترك المعاصي والذنوب، والتعرّض للنفحات الإلهية؛ فإن الله تعالى يختصّ برحمته من يشاء، وهذه المشيئة

ليست جزافية أبداً، فلها قواعدُها التي تكتشف من خلال ممارسة الطاعة، والاستلهاً من ربّ الأرباب.

٦ - حمل همّ الأمة

من السمات البارزة في حركة الحسين عليه السلام هو حملة لهموم الأمة، وإلا فلو كان همّه الوحيد التقرب الفردي إلى الله تعالى، فإن روضة جدّه المصطفى عليه السلام كانت له نعم الصومعة، ليعكف على عبادة فردية إلى آخر عمره المبارك. ومن المعلوم أن السلطة الحاكمة آنذاك لم تكن تتأثر بهذه الحركة، بل قد تشجعه عليه، لتأمن من هذه الوجود الذي كان يمثل قمة الامتداد لخط أهل البيت عليهم السلام. ولكنه الحسين عليه السلام الذي لا يرى اثنية بين العبادة في الخلوات، والجهاد في الجلوات، وهو تربية علي عليه السلام، حيث يقول عن خاصة أولياء الله تعالى طالباً منه تحقيق هذه الأمنية: «فناجيته سرّاً، وعمل لك جهراً»..

وعليه فإن من مصاديق التأسّي به، هو أن نحمل هموم الأمة في جوانحنا، بالإضافة إلى كل ما يتعلّق بالجانب التوحيدي من المحبة الإلهية. ومن الممكن أن يتجلّى ذلك من خلال الدور الاجتماعي الفاعل في حركة حياة الأمة، ومن المعلوم أن هذا الدور يختلف من مرحلة إلى مرحلة، ومن فرد إلى فرد، ومن بيئة إلى بيئة. والجامع لذلك كلّهُ هو أن يبحث الفرد بموضوعية ونزاهة عمّا يقربه إلى الله تعالى في خلقه، وهذا

معنى السفر إلى الحقّ بالخلق في الخلق، وهي صورة موازية للسفر إلى الخلق بالحقّ ومع الحقّ.

٧ - التعرّض للهبات

إن العطاء الحسيني كشعاع الشمس، منتشر في عالم الأرواح كانتشار نور الشمس في عالم التكوين، ولكن كما أنّ الانتفاع بأشعة الشمس يحتاج إلى التعرّض لها، فكذلك الأمر في عالم الأرواح، فإن من يريد الهبات الإلهية من خلال عبده الشهيد، لا بدّ له من التعرّض لتلك النفحات من خلال مجانبة المعاصي واتباع الواجبات، فإن القوم ما وصلوا إلى درجات القُرب إلّا من خلال العبودية المستوعبة لكل شؤون الحياة، ومن هنا وصفنا في التشهد النبي بالعبودية، قبل وصفه بالرسالة.

إننا نؤكّد على ضرورة مخادعة النفس المتثاقلة في طريق الهدى، بأن ندعوها للالتزام الكامل ولو في موسم قصير، كالأيام المعدودات في شهر رمضان المبارك، والأيام المعلومات في أشهر الحج، وأيام العزاء في محرّم الحرام.. ولا شك أن النفس إذا ألفت الطاعة، وتذوّقت حلاوة القُرب من المولى، فإنها لا يمكنها الانفكاك عن هذا العالم العلوي، الذي لا يمكن قياسه إلى العالم الأرضي، المبتلى بالفناء والتصرم في كل شيء، إذ كل شيء هالك إلّا وجهه الكريم.

٨ - الفقه الظاهري والباطني

إن كل حركة يقوم بها المؤمن، لا بدّ لها من فقهٍ ظاهري وباطني . . وواضح أن حضور مجالس عزاء سيّد الشهداء عليه السلام، يمثّل إقامة لشعيرة من شعائر الدين الحنيف . . إذ لولا دمه الطاهر، لما بقي من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه . . وهي من مصاديق إحياء الأمر الذي دعا الإمام الصادق عليه السلام لمن أحياء قائلاً: «رحم الله من أحيأ أمرنا»^(١) . . ولا شك أن الحركة العاشورائية التي قام بها الحسين عليه السلام وصحبه، من أبرز محطات التاريخ، بحيث يمكن القول بأنها الثالثة بعد خلق آدم من حيث أصل إقامة المشروع الإلهي المتمثّل بجعل الخليفة في الأرض، وبعد بعثة المصطفى صلى الله عليه وآله من حيث تأسيس الرسالة الخاتمة إلى يوم القيامة، وكانت الثالثة حركة الحسين عليه السلام من حيث تجديد هذه الرسالة وتخليصها ممّا علق بها طوال نصف قرن من غياب صاحب الرسالة، بحيث أصبح على رأس هرم المسلمين - وهو أعلى قمة في هيكلية الأمة الخاتمة - شخصية تُعدّ في أسفل القائمة خارج نطاق هيكل الأمة، ألا وهو يزيد الذي نُجّل ونكرم الإسلام والإنسانية أن يكون هو أحد أفرادها . .

٩ - القرية الخالصة

لا بدّ لأصحاب المجالس من أن يقصدوا القرية الخالصة لله تعالى، فإن الناقد - كما نعلم - بصير، بعيدين عن كل صور

(١) قرب الإسناد: ص ٣٢.

الشرك الخفي، ومما لا شك فيه أن البركات - التي ذُكرت من خلال النصوص الكثيرة - مترتبة على مثل هذه النيّة الخالصة. . وعلاوة ذلك: عدم الاهتمام بعدد الحضور وإطرائهم، وما يعود إلى مثل هذه العوالم التي قد تستهوي عامة الخلق، فالأجر مرتبط بما يقوم به هو، لا بما يقوم به الآخرون. . فما عليك إلا أن تفتح بابك، وتنشر بساطك، كما ذكر الصادق عليه السلام في باب المعاملة.

١٠ - ذكرهم ذكر الله تعالى

إن مجالس ذكر الحسين عليه السلام إنما هي في واقعها ذكر لله تعالى، فإنه إنما اكتسب الخلود بتحقيقه أعلى صور العبودية لربّ العالمين، وهي الفداء بالنفس، وأيّة نفس؟! . . . وعليه فلا بدّ من توقير تلك المجالس بالدخول فيها بالتسمية، والطهور، واستحضارها كجامعة من أعرق الجامعات الإسلامية الشعبية، والتي تضمّ في قاعاتها المتعددة - من أكواخ البوادي إلى أفخم الأبنية - مختلف الطبقات الاجتماعية، وهذا أيضاً من أسباب التفوّق العلمي في القاعدة الشعبية للموالين نسبة إلى غيرهم، وذلك لتعرضهم لهذا الإشعاع النوري منذ نعومة أظفارهم.

١١ - الاستعداد لدخول المجلس

لا بدّ من الاستعداد النفسي قبل دخول المجلس، فيُستحسن الاستغفار، وذكر الله تعالى كثيراً، والصلوات على النبي وآله الطاهرين، والتهيؤ النفسي لنزول النفحات الإلهية في

ذلك المكان . . إذ ما من شك أن الله تعالى في أيام دهرنا نفحات، بحسب الأزمنة والأمكنة، ولا شك أن مجلس ذكر الإمام الشهيد في مظان نزول أنواع الرحمة الإلهية التي لا يمكن أن نحصل عليها في غير تلك المجالس، ولا يفوتنا أن ننوّه إلى أن الإمام الرضا عليه السلام وعدنا بذلك من خلال قوله عليه السلام: «فإن البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام»^(١).

١٢ - توقيير المكان

إذا كان المجلس مقاماً في بيت من بيوت الله تعالى، فلا ننس تحية المسجد بركعتين مع توجّه، بالإضافة إلى مراعاة جميع آداب المساجد المعروفة في الفقه، وخاصة الالتزام بالحجاب الشرعي للنساء، وعدم اختلاط الرجال بالنساء في الطريق العام . . فإن موجبات إحباط الأجر موجودة دائمة، ولا ينبغي التعويل على قداسة الجو للتفريط ببعض الواجبات الواضحة ففهاً وأخلاقاً، ولطالما فوّتنا على أنفسنا المكاسب الكبيرة بعد تحقّقها، وذلك بالتفريط في التحرز من موانع القبول.

١٣ - استخلاص النقاط العملية

ليكن الهدف من استماع الخطب، هو استخلاص النقاط العملية التي يمكن أن تغيّر مسيرة الفرد في الحياة . . وعليه فانظر إلى ما يُقال، ولا تنظر إلى من يقول، وعلى المستمع أن يفترض

(١) الأمالي: ص ١٩١.

نفسه أنه هو المعني بالخطاب الذي يتوجّه للعموم. . ولا ينبغي نسيان هذه الحقيقة المتكررة في حياتنا وهي: أن الله تعالى قد يجري معلومة ضرورية للفرد على لسان متكلم غير قاصد لما يقول، ولكن الله تعالى يجعل في ذلك خطاباً لمن يريد أن يوقظه من غفلة من الغفلات القاتلة.

١٤ - إثارة الأجواء

لنحاول أن نعيش بأنفسنا الأجواء التي يمكن أن تثير عندنا الدمعة، فإن من أقرب المجالس إلى القبول ما كان في الخلوات كجوف الليل ومن دون إثارة خارجية، ليعيش العبد مرارة ما جرى يوم الطف، تلك المرارة التي آلمت قلوب جميع الصديقين حتى الذين سمعوا بمأساة سيد الشهداء عليه السلام قبل أن يُولد، وذلك باستذكار ما جرى في واقعة الطف، من دون الاعتماد على ما يذكره الخطيب فحسب. . ومن المعلوم أيضاً أن التوفيق في هذا المجال، مرتبط بمطالعة إجمالية لمجمل هذه السيرة العطرة بما فيها الجانب المأساوي، وذلك من المصادر المعتمدة.

١٥ - التباكي بدلاً من البكاء

إذا لم نوفق للبكاء، فلنحاول أن نتباكي، ونتظاهر بمظهر الحزن والتلهّف على ما دهى سيد الشهداء عليه السلام، مع عدم الاعتناء بالجالسين حولك، فإن من تلبس إبليس أن يمنعنا من ذلك بدعوى الرياء. . وليس من الأدب أن يعامل المستمع ساعة

النعي، كساعة الوعظ حتى في طريقة الاستماع.. ولا يخفى على المتأمل أن رقة القلب حصيلة تفاعلات سابقة، فالذي لا يمتلك منهجاً تربوياً لنفسه في حياته، من الطبيعي أن يعيش حالة الدهول الفكري إضافة إلى الجفاف العاطفي.

١٦ - استمرار قسوة القلب

إذا استمرت قسوة القلب طوال الموسم، فلنبحث عن العوامل الموجبة لهذا الخذلان، فقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»^(١). . . وخاصة إذا استمرت هذه الحالة فترة من الزمن، فإنها مشعرة بعلاقة متوترة مع الغيب، إذ كيف لا يتألم الإنسان لما جرى على من يحب، إن كان هنالك حب في البين؟!.. ولا شك أن الذي يعيش هذا الجفاف المحزن - في وقت أحوج ما يكون فيه العبد إلى الرقة العاطفية - عليه أن يلتجئ للاستغفار الحقيقي، والذي أثره ترك المعصية.. وكم من الجميل أن ينتهي موسم الولاية، بخاتمة توحيدية - بمعنى الإنابة إلى الله تعالى - وهذا بدوره مما سيجعل للمواسم العزائية وقعاً في نفوس الذين قد لا يتفاعلون مع هذه المشاعر في بادئ النظر.

١٧ - استغلال ساعة الدعاء

لنستغل ساعة الدعاء بعد انتهاء المجلس، فإنها من

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ٨١.

ساعات الاستجابة، وحاول أن يكون لك جوّ من الدعاء الخاص، غير مكتف بما دعا به الخطيب.. فالملاحظ أن الدعاء بعد المجلس لا روح فيه بشكل عام، أي بمعنى أن الناس لا ينظرون إلى هذه الفقرة نظرة جدّ واعتناء، وكأن الحديث مع الربّ المتعال أمر هامشي، لا يُعطى له ما يستحقّه من الالتفات.. والحال أنه من الممكن أن يحقّق العبد حاجاته الكبرى بعد الدموع التي جرت على أحبّ الخلق إلى الله تعالى في زمانه.

١٨ - تنوّع المجالس

لنحاول أن نبحث عن التنوّع في مجالس العزاء، إذ لكل مجلس هيئته الخاصة، ولكل خطيب تأثيره الخاص.. وعلى المستمع أن يبحث عن المجلس الذي يثير فيه العبرة والاعتبار، تاركاً كل الجهات الباطلة الأخرى: كإرضاء أصحاب المجالس، أو التعصّب لجهات معيّنة، أو الميل القلبي الذي لا مبرّر له سوى الارتياح الذاتي لا الرسالي.. ونعتقد أن نزول البركات المادية والمعنوية، مرتبط بنسبة طردية مع هذه النوايا التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

١٩ - التفرّغ لعزاء الحسين عليه السلام

لنحاول أن نفرّغ أنفسنا أيام عاشوراء من جهة: العمل والدراسة والتجارة؛ لإقامة الحداد على سبط النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يؤذيه بكأؤه وهو صغير، وذلك لئلا يكون يومنا في يوم

عاشوراء كباقي الأيام، مشتغلين بأمور الدنيا، تاركين مشاطرة صاحب الأمر عليه السلام في مصيبتته التي يبكي عليها بدل الدموع دماً. . والأمر يعطي ثماره عندما يكون ذلك مقترناً بشيء من المجاهدة في هذا المجال، فإن أفضل الأعمال أحمرها، أي أشقها على النفس.

٢٠ - الاستعانة بالمسموعات

إذا كنت في بلد خالٍ من مجالس الحسين عليه السلام، فاستعن بالمسموعات والمرئيات والمواقع الهادفة، لئلا تُحرم بركات الموسم، بل إن إحياء الذكرى في أماكن غير متعارفة، له أثره الخاص. . وهذه من المجربات التي لا تخلف لأثرها، إذ إن الذكر في الخلوات، يخلو من كل شوائب الجلوات، ومن هنا كان العمل أقرب للقبول من غيره، وخاصة إذا اقترن ذلك بترويج لتلك الأهداف السامية في قلوب الذين يجهلون هذه المعارف، فإن الناس لو عرفوا محاسن سيرتهم لاتبعوهم.

٢١ - الشحن الفكري والعاطفي

من الأمور الراجحة - سواء داخل البيت أو خارجه - أن يعيش الأجواء المثيرة للعواطف، بالاستماع إلى ما أمكن من محاضرات، ومجالس عزاء، وقراءة الكتب المتعلقة بالسيره والمقتل. . وكم من الجدير أن يحوّل المؤمن هذه الأيام إلى أسبوع شحن فكري وعاطفي، في مختلف المجالات حتى العبادة منها. . فإن إحياء هذه الذكرى مقدمة لإحياء الدين، بكل

حدوده وثغوره، ومن الراجح أيضاً أن لا يقتصر الأمر على مجرد الشحن العاطفي بمعزل عن الشحن الفكري، فإن من أهداف هذه الحركة المباركة، تحريك العباد إلى المنهج الربّاني الذي كادت تضيع معالمه عندما أقصى الظالمون الإمام عن الأمة.

٢٢ - علامة القبول

إن علامة قبول العزاء وعظماً واستماعاً، وبكاءً وإبكاءً؛ هو الخروج بالتوبة الصادقة بعد الموسم، إقلاعاً عن الذنوب، وتشديداً للمراقبة. . فإن الذي كان يعطي الحسين عليه السلام هويته المتميّزة، هو الذكر الإلهي في كل مراحل حركته المباركة، بما في ذلك ساعة عروجه إلى الملكوت الأعلى. . والملاحظ - مع الأسف الشديد - أن الإنسان يفرط بسرعة في المكاسب التي اكتسبها في الموسم، وذلك بمجرد الخروج منه. . وهذا الأمر يتكرّر في كل عام، مما يعظم لصاحبه الحسرة يوم القيامة. . فالأمر بمثابة إنسان ورد الغدير، ولم يغترف منه إلا لعطش ساعته، من دون أن يتزوّد لسفره البعيد، في القاحل من الأرض.

٢٣ - اصطحاب الأهل

حاول أن تصطحب أهلك وأولادك وأصدقاءك لمجالس الحسين عليه السلام، فإنها مظان التحوّل الجوهري حتى للنفوس العاصية، ولا شكّ أنه يترك أثراً لاشعورياً في نفوس الأحداث. . وذلك لأن للمعصوم عليه السلام عنايته وإشرافه بعد وفاته، كما أن الأمر كذلك في حياته، فإذا كان الشهيد حيّاً مرزوقاً،

كيف بإمام الشهداء؟! . . ومن المعلوم أن الفرق بين المعصوم الحيّ والمستشهد، كالفرق بين الراكب والراجل، إذ إنه بانتقاله من هذه النشأة الدنيا ترجل عن بدنه الشريف؛ فهل تجد فرقاً بينهما؟! .

٢٤ - الاسترسال بعد المجلس

يغلب على بعض المستمعين - مع الأسف - جو الاسترسال واللغو بعد انتهاء المجلس مباشرة، وفي ذلك خسارة كبرى لما اكتسبه أثناء المجلس، فحاول أن تغادر المجلس إن كنت تخشى من الوقوع في الباطل . . ومن المعروف في هذا المجال، أن الإدبار الاختياري بعد الإقبال العبادي مع ربّ العالمين أو في مجالس أهل البيت عليهم السلام، من موجبات العقوبة الإلهية . . وقد ورد أنه ما ضرب عبد بعقوبة أشدّ من قساوة القلب . . وهذا أيضاً يفسّر بعض صور الإدبار الشديد بعد الإقبال الشديد، وذلك لعدم قيام العبد برعاية آداب الإقبال، كما هو حقّه .

٢٥ - الحضور طلباً للحوائج

إن البعض يحضر المجلس طلباً لحاجة من الحوائج، فيدخل في باب المعاملة مع ربّ العالمين، والحال أن الهدف الأساس من هذه المجالس هو التذكير بالله تعالى، وبما أراده أمراً ونهياً، وهي الأهداف التي قدّم الإمام نفسه من أجل تحقيقها، فشعارنا: (تبكيك عيني لا لأجل مثوبة . . . لكنما عيني

لأجلك باكية) .. وما قيمة بعض الحوائج المادية الفانية في مقابل النظرة الإلهية للعبد التي تقلب كيانه رأساً على عقب .

٢٦ - تقديم العزاء للصاحب عليه السلام

إن من يُقدّم له العزاء في هذه المواسم بالدرجة الأولى، هو بقية الماضين منهم، ألا وهو صاحب الأمر عليه السلام، فحاول استحضار درجة الألم الذي يعتصر قلبه الشريف، وذلك بأنه الخبير بما جرى على جدّه الحسين عليه السلام في واقعة الطف، إذ إن ما وصل إلينا - رغم فداحته - لا يمثل إلا القليل بالنسبة إلى ما جرى على آل الله تعالى، ومن هنا يُعدّ إمامنا المهدي عليه السلام من البكّائين، ولك أن تتصوّر حال من يندب جدّه الشهيد في هذه القرون المتطاولة .

٢٧ - ضريبة تمنيّ الولاية

إن البعض ينظر إلى ما جرى في واقعة الطف وكأنه ملف فتح ليختم، والحال أننا مأمورون بالتأسّي بالنبي الأكرم وآله عليهم السلام، ومنهم سيّد الشهداء عليه السلام : رفضاً للظلم، وذكراً لله تعالى على كل حال، وفناء في العقيدة، واستقامة في جهاد الأعداء، وبصيرة في فهم حدود الشريعة .. فإن ضريبة تمنيّ الكون معهم من أجل نصرتهم، هو السعي العملي للتشبه بهم في الحدود المتاحة الممكنة، في أي موقع من مواقع الجهاد في الحياة .

٢٨ - تنوع العناصر

إن من الملفت حقاً تنوع العناصر التي شاركت في واقعة الطف: فمنهم الشيخ الكبير كحبيب بن مظاهر الأسدي، ومنهم الطفل الرضيع، ومنهم الشاب في ريعان شبابه كالقاسم والأكبر، ومنهم العبد الأسود كجون، ومنهم النساء اللواتي شاركن في قسم من المعركة، وما بعد المعركة كعقيلة الهاشميين زينب الكبرى عليها السلام. . . أليس في ذلك درس للجميع بأن التكليف لا يختص بفئة دون فئة أخرى، وأن الله تعالى يريد من كل واحد منّا أن يكون رافعاً للهواء التوحيد أينما كان؟! .

٢٩ - عشرة التوجه

لئن كانت العشرة الأخيرة من شهر رمضان، محطة تركيز على العلاقة الخاصة مع رب العالمين، من الزاوية الفردية للعبادة. . . فإن العشرة الأولى من شهر محرّم الحرام، تمثل محطة تركيز أيضاً على تلك العلاقة من الزاوية الاجتماعية للعبادة، تأسياً بسيد الشهداء عليه السلام الذي مارس أرقى صور العبودية لرب العالمين، من خلال استنقاذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة، مجسّداً بذلك شعار إحياء الخلق، لأنهم عباد الله. . . وأحبّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

٣٠ - الحق العظيم للإمام

إن حقّ الحسين عليه السلام عظيم على الأمة جمعاء، لأنّه أحدث بشهادته هزة عنيفة أيقظت الأمة من سباتها. . . وأيّ سبات أعظم

من أن يستبدل خير الخلق إلى الله تعالى في زمانه، بشارب الخمر ومستحلّ الحرامات زاعماً إمرة المؤمنين!!.. وما آل إليه أمر الأمة، كانت نتيجة طبيعية لمخالفة المنهج الربّاني الذي رسمه الله تعالى للأمة ليوم الغدير.

٣١ - تجسيد الحبّ

إن من أعظم وظائف المحبّين في هذه الأيام، هو تجسيد الحبّ - لا من خلال مظاهر العزاء فحسب - بل من خلال الترجمة العملية لهذا الحبّ.. إذ الحبّ ليس إلّا التجانس بين المحبّ والمحبوب، وهذا التجانس لا يتمّ بالدعوى المجرّدة، بل بمحاولة التقريب بين الذات المحبة والذات المحبوبة في الصفات والملكات.. وإنّ أعظم قربان يُقرّب إلى الله تعالى في هذه الأيام، هو نفي إنية النفس الأمّارة: اجتناباً لملكة خبيثة، أو إقلاعاً عن منكر نعكف عليه.

٣٢ - مشاطرة الأنبياء

إنّ البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام يُعتبر مشاطرة لجميع الأنبياء والأوصياء في تأثرهم بمصيبة الحسين عليه السلام.. إذ لم يتحقّق على وجه الأرض منذ أن خلق آدم، كارثة جامعة لكلّ صور المصيبة في: النفس والعيال حتى في الطفل الرضيع كمصيبة الحسين عليه السلام.. ومن المعلوم أنّ هذه الظلامة قائمة، لم يتحقّق القصاص منها قبل خروج القائم عليه السلام، فإن مرور الليالي والأيام، لا يخفّف ثقل هذا الرزء الجلل الذي اقشعرت له أظلة

العرش قبل أركان الأرض . . ولا ننسى أن صاحب دعاء عرفة بعرفانه البليغ لربّ العالمين، هو الذي وطّأته الخيل بحوافرها، وتُرك على رمضاء نينوى بلا غُسل ولا كفن!! . . رزقنا الله تعالى طلب ثاره مع قيام قائمهم المهدي عليه السلام.

٣٣ - ذوبان الذاتيات

إذا أردنا أن نصف ما جرى في كربلاء بعبارة موجزة، فإن من خير ما يُقال في هذا المجال: إن الذين حضروا تلك الواقعة لم تبق لهم ذوات حاكمة في قبال مرضاة الله سبحانه وتعالى . . وهذا هو مقام الفناء في الله، الذي طالما طرحه القوم نظرية في عالم التصوّر، إلّا أنها تحقّقت على صعيد كربلاء في فتية صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه.

٣٤ - إخلاص الإصحاب

إن الذين ضحّوا بأرواحهم للإسلام مع الحسين عليه السلام كانوا من شرائح مختلفة . . فمنهم من هو قديم العهد في الوفاء لربّ العالمين كحبيب بن مظاهر، ومنهم من هو جديد العهد بالهداية كالحرّ بن يزيد، ولكن العاقبة كانت واحدة ألا وهي الاستقرار في مقعد الصدق عند مليك مقتدر، مما يدفع أحداً لعدم اليأس مهما غرق في بحر المعاصي، فإن الأمور بخواتيمها.

٣٥ - إكمال القابليات

إن دور الإمام في قيادة الأمة يتجلّى من خلال واقعة الطف

أيضاً . . فإن النفوس الصالحة من أصحابه الميامين لم تكن لتصل إلى ملكة الرشد والكمال الفعلي إلا من خلال رعايته وتربيته الروحية والعقائدية . . وهكذا لو نُثيت الوسادة للمعصوم عليه السلام في الأمة، لحوّل الطاقات الكامنة فيها إلى ملكات فعلية، تتجلى في التضحية والإيثار في سبيل المبدأ . . ومن هنا يشتدّ أسفنا لما وقع من الظلامه على أوصياء النبي صلى الله عليه وآله بتنحيتهم عن هرم الهداية والإرشاد بشتى صور الظلم.

٣٦ - صور نادرة للفداء

هنالك صور من التضحية والفداء، يقف الإنسان أمامها مدهوشاً، فهذا وهب بن عبد الله يُقاتل مع الحسين عليه السلام ثم يسأل أمه: يا أماه أرضيت؟! . . فتقول: ما رضيت أو تُقتل بين يدي الحسين عليه السلام، ثم ذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه، فبصر بها شمر فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه، فشرخها وقتلها وهي أول امرأة قُتلت في معسكر الحسين عليه السلام.

٣٧ - الولاء المذهل

تأمل في الولاء المذهل لولي الأمر، حتى في اللحظات الأخيرة من الحياة التي يذهل فيها العبد عن كل شيء:

فهذا حبيب بن مظاهر يدنو من مسلم بن عوسجة ليسمعه يقول بصوت خفي: أوصيك بهذا! . . وأشار إلى الحسين عليه السلام، فقاتل دونه حتى تموت. فقال له حبيب: لأنعمنك عيناً، ثم مات رضوان الله تعالى عليه.

وهذا أبو ثمامة الصيداوي يقول للحسين عليه السلام: أحب أن ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة، فقال الحسين عليه السلام: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين، فصلى الحسين عليه السلام بهم صلاة الخوف.. وكان سعيد بن عبد الله الحنفي أمام الحسين عليه السلام يقوم بين يديه كلّما أخذ الإمام عليه السلام يمينا وشمالا في صلاته، ويتلقّى سهام الأعداء فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف.

وهذا جون مولى أبي ذر يقول للحسين: يا بن رسول الله!.. أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدة أخذلكم، والله إن ريحي لمتنن، وإن حسبي للثيم، ولوني لأسود، فتنفس عليّ بالجنة، فتطيب ريحي ويشرف حسبي، ويبيض وجهي!.. لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

وهذا شاب قُتل أبوه في المعركة، وكانت أمه معه، فقالت له أمه: اخرج يا بني!.. وقاتل بين يدي ابن رسول الله.. فخرج فقال الحسين: هذا شاب قُتل أبوه، ولعلّ أمه تكره خروجه، فقال الشاب: أمي أمرتني بذلك.. وقاتل حتى قُتل وجزّ رأسه ورمي به إلى معسكر الحسين عليه السلام، فحملت أمه رأسه، وقالت: أحسنت يا بني!.. يا سرور قلبي ويا قرّة عيني.

٣٨ - عدم انتهاء المعركة

يظن البعض أن مسألة النهضة الحسينية واقعة تاريخية، انتهت بموت العناصر المتواجحة فيها، وهذا خطأ جسيم.. فكما

أن تاريخ المواجهات لم يمت - طوال التاريخ - بين الأنبياء وأعدائهم، ومن هنا جعله القرآن عبرة لأولي الألباب، فكذلك قضية الحسين عليه السلام خالدة، لأن منهجه (منهج المواجهة مع الظلم الفكري والعملي) لا زال حياً ماثلاً للجميع.. فمتى مات الباطل، لتموت المواجهة معه؟..

٣٩ - رمز الطاعة

إن الحسين عليه السلام في زمان أخيه الحسن عليه السلام كان رمزاً لطاعة إمام زمانه، رغم أنه يشترك مع أخيه في وصف السيادة لأهل الجنة، ولهذا نراه يتعامل مع أخيه الإمام معاملة المأموم.. وهذا درس في زماننا المعاصر، وهو أن نعيش حالة الطاعة المطلقة لبقية الماضين من سلسلة الأئمة الاثني عشر.. وثمرتها في زمان الغيبة، هو الرجوع إلى المجتهد: الصائن لنفسه، والمطيع لمولاه، والمخالف لهواه، كما ورد في الحديث الشريف.

٤٠ - أثر البعد عن الولاية

إن الحسين عليه السلام بحركته الخالدة التي تعرّض فيها هو وعياله لما قلّ مثيله في التاريخ - سواء قبل الاستشهاد وحينه وبعده - أراد أن يبيّن للأمة ثمرة الغرس الذي نشأ بعيداً عن: نمير الغدير، ودوحة المباهلة، وواحة الثقليين.. ولولا هذه الهزة العنيفة لضمير الأمة، لسارت الأمور في مجرى آخر لا يعلم

عاقبته إلا الله تعالى . . ومن هنا نعلم معنى قول النبي ﷺ : « . . وأنا من حسين »^{(١)(٢)} .



٤١ - العبودية المطلقة

أن مأساة الحسين عليه السلام بدءاً من خروجه من المدينة، إلى عودة سباياه إلى المدينة مرة أخرى، وما بينهما من الأحداث الجسام، رغم تعدد ألوانها المأساوية، إلا أنها مصطبغة بلون واحد، وهو العنصر المميّز لكلِّ حركته، ألا وهي العبودية المطلقة لله ربِّ العالمين، وهي تتجلّى تارة: في مناجاته مع ربِّ العالمين في مقتله . . وتارة في صلاة أخته زينب عليها السلام في جوف ليلة الحادي عشر من محرّم . . وتارة في مناجاة السجّاد عليه السلام مع ربّه والأغلال الجامعة في عنقه الشريف!

٤٢ - الحرص على الدعوة

من معالم الثورة الحسينية، حرص سبايا الحسين عليه السلام تبليغ رسالته في شتى الظروف القاسية، وذلك بمنطق المتصر، وإن كان مغلوباً ظاهراً . . فهذه زينب عليها السلام يصفها الراوي: ما رأيت خفرة (أي شديدة الحياء) بأنطق منها . . فإنها جمعت بين: كمال الالتزام بما تمليه الشريعة على الأنثى عند حديثها مع الرجال،

(١) الحيفة السجادية الكاملة: ص٧.

(٢) تمّ إلى هنا عدد الاربعين وأضفنا الزيادة إتماماً للفائدة.

وبين بيان المنهج الفكري الذي ينبغي أن ترجع إليه الأمة، والتي من أجلها ضحّى أخوها الحسين عليه السلام بنفسه.

٤٣ - الارتباط بمبدأ الخلود

إن الطبع البشري يميل إلى تخليد الذكر، وبقاء الأثر بعد الرحيل من هذه الدنيا الفانية. . ولا سبيل إلى ذلك، إلا بالارتباط بمبدأ الخلود، فهو الذي لو بارك في عمل أو وجود ربطه بأسباب الدوام والخلود، كما ورد فيما أوحاه الله تعالى إلى نبي من أنبيائه: «إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية» وهو ما نراه متجلياً في نهضة الحسين عليه السلام. . ففي كل سنة تمرّ علينا ذكراه، وكأنها ذكرى جديدة، وسيبقى الأمر كذلك، إلى ظهور الدولة الكريمة لولده المهدي عليه السلام الذي يثار لخطّ الظلم الذي بدأ بقتل هابيل، واستمرّ طوال التاريخ مروراً بكربلاء، إلى اليوم الأخير لما قبل الظهور.

٤٤ - كيفية الإحياء

إن إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام لا ينحصر في القوالب اللفظية من: إنشاد الشعر، وذكر الفضائل، وإقامة العزاء وغير ذلك، وإن كانت كلّها درجة من درجات إحياء الذكر. . إنما الإحياء الأكمل يتمثل في ترجمة سيرتهم العملية في حياتنا الفردية والاجتماعية. . فإنّ الناس لو اطلعوا على محاسن أقوالهم وتطبيقاتها في الحياة المعاصرة، لما وسعهم إلا الاتباع العملي والولاء الفكري والتعلّق العاطفي.

٤٥ - جذور الدمعة

إن البكاء وإن كان في ظاهره يتمثل في جريان الدمع من العين - إلا أنه في الواقع عملية معقدة لها جذورها في الفكر والقلب، ولها آثارها على الجوارح . . إذ إن البكاء حصيلة تفاعلات باطنية متمثلة في: الاعتقاد النظري بقدسية الجهة التي نبكي على مصائبها، من جهة انتسابها لمصدر القدسية العظمى في الوجود، المتمثلة بقدسية الرب المتعال . . كما أنها حصيلة تفاعلات قلبية مرتبطة بذلك الاعتقاد، فإن ما جرى على وليه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، كان هتكا للرسالة التي ثار الحسين عليه السلام من أجلها، وهتكا للنبوّة إذ كان الحسين عليه السلام طالباً للإصلاح في أمته، وهتكا للإمامة إذ جرى عليه من المآسي عليه وعلى عياله ما لم يُذكر نظيره في تاريخ البشرية!! .

٤٦ - موقفية البكاء

إن البكاء في منطق الفرد والأمة: موقف يتّخذه الإنسان إلى جانب اليد واللسان، للتعبير عن رأيه في مفردات الحياة . . وعليه فإن البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام إبداء لنوع استياء من كل صور الظلم التي وقعت على الأمة، بعد غياب المنهج السماوي الذي رسمه الله تعالى لها، والمتمثل بميراث الكتاب (الحبل الممدود بين السماء والأرض) وميراث العترة (الحبل الممدود بين النبي والأمة) . . والأشجار تُعرف بشمارها، ومن المعلوم أن واقعة

الطف هي الثمرة المرّة للشجرة الخبيثة، التي جاء وصفها في القرآن الكريم.

٤٧ - صدمة الدم

إن الأسلوب الطبيعي لإصلاح الأمة يتمثل في الحديث والموعظة التي يخاطب بها العقول والقلوب، وهو ما مارسه عليّ والحسن عليهما السلام . . إلا أن الأمة وصلت إلى درجة من التخدير وموت الإرادة، بحيث أصبحت تنظر إلى يزيد إماماً لها، وهو الذي يصفه سيّد الشهداء عليه السلام قائلاً بعدما كتب يزيد إلى الوليد يأمره بأخذ البيعة منه وإلا ضرب عنقه:

«إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله . . ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرّمة مععلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله!!».

فلم يبق إلا أسلوب التضحية بالدم لتستفيق الأمة على هول المصيبة التي ابتليت بها، بعد التراكمات التاريخية للانحراف التدريجي!!

٤٨ - المنهج المتكامل

علينا أن ننظر إلى خط الإمامة كمنهج متكامل في شتى الأبعاد: فهي هو الحسين عليه السلام - الذي يمثل حلقة من حلقات هذه السلسلة المباركة - نراه تارة في أعلى صور العبودية والتذلل لربّ العالمين في مناجاة يوم عرفة، التي قلّ نظيرها في مناجاة بشر مع ربّه . . ونراه تارة في حالة تثبيت حاكمية الله تعالى على الأرض

من خلال خطبه السياسية عند خروجه من المدينة.. ونراه تارة داعياً من حوله من أصحابه إلى التعلّق الروحي بالمبدأ الأعلى، من خلال وصاياه في ليلة عاشوراء.. فكان لهم دوي كدوي النحل ليلاً، وصرخات كزئير الأسود نهاراً!!..

٤٩ - فروع الجامعة الكبرى

إن مجالس الحسين عليه السلام تعدّ بحقّ جامعة كبرى لها فروعها في عواصم المدن الكبرى إلى الأرياف الصغرى.. ومن هنا لا نرى أمة متفكّهة في كليات الشريعة - فقهاً، وتاريخاً، وسيرة - كأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين يدخلون هذه الجامعة شهريّن في كل عام، سواء في ذلك الصغير الذي لم يبلغ الحلم، إلى الكبير الذي وصل إلى مشارف نهاية عمره!!.. أو ليس هؤلاء الخريجون مدينون لحركة الحسين عليه السلام المباركة؟!.. هذه الحركة التي لم تكن حركة في التاريخ، وإنما كانت حركة للتاريخ!!.. هذه الثورة التي لم تحمل في طيّاتها طلباً للحكم الصوري، وإنما كانت تحمل رسالة لتغيير منهج الحياة، بقراءة صحيحة للإسلام الذي كاد أن يُصاب بداء الأمم السالفة!!

٥٠ - التجانس بين العشرات

هناك ارتباط وتجانس بين عشرات ثلاث: العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، والعشر الأوائل من شهر ذي الحجة الحرام، والعشر الأوائل من محرّم الحرام، وهي بمجموعها تمثّل شهراً كاملاً في كل عام.. علينا أن نتخذ من مجموع هذه

العشرات المباركات والموزعة على مدار السنة: محطات لإعادة الصلة بالله تعالى الذي نبتعد عنه خطوة بعد كل معصية، لنعوّض بذلك أميال البُعد عنه، بخطوة جريئة إليه في كل موسم مصالحة!!.. ولإعادة الصلة بمنهج أهل البيت عليهم السلام، فلو كان لجدهم المصطفى صلى الله عليه وآله مدينة علم، فهم الأبواب لتلك المدينة دون غيرهم!!.. وإن كان لله تعالى بيوت أذن الله تعالى أن يُرفع فيها اسمه، فهم البيوت دون غيرهم!!

٥١ - العقوبات في عالم القلوب

إن لله تعالى عقوبات في الأبدان والقلوب وما ضُرب العبد بعقوبة أشدّ من قساوة القلب.. ومن المعلوم أنه ما جفّت الدموع إلّا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب!!.. إن الابتلاء بقسوة القلب في هذه الأيام، علامة غير صحيّة كاشفة عن خلل في الجهاز الشعوري للإنسان، فعلى العبد أن يكتشف أسباب ذلك، وإلّا فإنّ الخسارة فادحة.. وهنيئاً لمن رأى على صدره وسام النبي صلى الله عليه وآله المتمثل بالشهادة على الإيمان، حيث اعتبر لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين، لا تبرد أبداً.. فهل تجد في قلبك هذه الحرارة الكاشفة عن حياة القلب؟!.

٥٢ - إعادة التقييم

إن من المهم جداً أن نعيد تقييم أنفسنا من جديد، عندما يمرّ علينا موسم عبادي: كشهر رمضان ومحرم، لنرى ما هي

العطاءات التي خرجنا منها؟ .. وهل أنها كانت متناسبة مع قوة عطاء الموسم؟ .. وهل أننا حافظنا على تلك العطاءات؟ .. وما هو الاستثمار الأفضل لها بعد انتهاء الموسم؟ .. فإن الكثير يعيش حالة الارتياح لما كان فيه، من دون أن يكون قلقاً لما سيكون عليه!! .. والشيطان - كما اعتدنا عليه - حريص على مصادرة مكتسبات المؤمن في أول منعطف في حياته .. فهل نحن حذرون من ذلك؟

٥٣ - درس العبودية

إن حركة الحسين عليه السلام كانت أسلوب حياة في التعامل مع النفس والآخرين، فإنه أراد أن يعلمنا درس العبودية في كل مراحل حركته المباركة .. فنراه يخرج من جانب البيت الإلهي الآمن، عندما يرى رضا ربّه في ذلك .. ونراه يعرض عياله للأسر والسبي، عندما يرى بأن الله تعالى شاء أن يراهن سبايا .. ويعرض نفسه لأقصى صور الهتك والتعذيب، عندما يرى بأن الله تعالى شاء أن يراه قتيلاً .. وقد لخصت أخته زينب كل هذه الدروس عندما أعلنت بتحدٍّ صارخ لطاغية زمانها: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج (أي الظفر) يومئذ، ثكلتك أمك يابن مرجانة! ..»^(١).

(١) مثير الأحزان: ص ٧١.

٥٤ - الإفاقة بالدم

إن مبدأ الحوار والتفاهم بالخطاب، هو الأسلوب المتعارف في تبليغ رسالات الأنبياء عليهم السلام وهو ما يمثله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١)، ولكن يصل الأمر في فساد المتسلط على رقاب الأمة، إلى ما يكون الإنذار والبلاغ غير كاف لردع الباطل الأكبر: وهو فساد من إذا فسد، فسدت الأمة به - إذ الناس على دين ملوكهم - فيلزم القيام بحركة ما وراء البيان والبلاغ، ألا وهو القيام بحركة غير متعارفة من بذل الدم، لتستفيق الأمة من أعماقها، على فساد ذات الحاكم، بعدما غفلت الأمة عن فساد أعمال الحاكم!!.. ومن هنا انهيار الحكم الأموي بسنوات قصيرة من مقتل الحسين عليه السلام، بل اعتبرت ثورته هي أم الثورات التي انبثقت في صفوف الأمة، التي لم تعهد مثل ذلك قبل مقتل الشهيد عليه السلام.

٥٥ - الجمع بين العفة والدعوة

إن من دروس كربلاء هو: الجمع بين العفاف في منتهى درجاته، وبين الذب عن الدين بما أوتي الفرد من قوة.. فهذه زينب عليها السلام التي لم ير في الخدر والحياء مثلها، وكان علي عليه السلام يحاول إخفاء خيالها عن غير المحارم، عندما كان يطفئ السراج أو يخفته - عند زيارتها لقبر جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ولكنها مع ذلك كانت اللسان الناطق باسم الشريعة، في محضر إمام زمانها

(١) سورة فاطر: الآية ٢٤.

السَّجَّاد عليه السلام . . ومن هنا صحَّ أن يُقال: كما أن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، فإن حركة الإصلاح كانت: حسينية الحدوث، زينية البقاء!!

٥٦ - الشبه بين الحسين والخليل عليه السلام

هناك شبه كبير بين معاملة الله تعالى لخليله إبراهيم وبين ذبيحه الحسين عليه السلام وذلك أن الله تعالى جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، فإن ما نلاحظه من إقبال الناس على ذكر الحسين عليه السلام وإقامة عزائه لمن المذهل من الأمور!! . . فكما أننا نرى حتى بعض غير الملتزمين طوال العام تهفو نفوسهم إلى حج البيت فكذلك نلاحظ هذا الفريق نفسه يبدون ولاء لا يتناسب مع طبيعة مرحلتهم، بما نعلم أن هناك تصرفاً إلهياً في القلوب، وكأن هذه الحركة في موسمي الحج ومحرم، استجابة لدعوة إبراهيم . . ولا ريب أن ملاك هوى القلوب لآل محمد عليهم السلام في وادي الشهادة في سبيل الله تعالى، ليس بأقل من ملاك هوى القلوب لآل إبراهيم عليه السلام في واد غير ذي زرع!! .

٥٧ - إتمام الحجّة

إن ما نعيشه أيام محرم الحرام - وإن كانت من النعم الإلهية حيث أذقنا حرارة محبة الحسين عليه السلام التي جعلها النبي عليه السلام من علامات الإيمان - ولكنه في الوقت نفسه إتمام للحجة علينا جميعاً، فإن المؤاخذة الإلهية بعد النفحات القدسية،

أسرع إلى العبد مما لو كان محروماً منها.. فإن الممنون عليه ليس كالمحروم، والعالم ليس كالجاهل!!.. أو هل يكفي أن نخرج من الموسم بالدموع والآهات، من دون أن نرى تغييراً مهماً في مسيرة الحياة؟!..

٥٨ - سوء العاقبة

إن من دروس عاشوراء المهمة الحذر من سوء العاقبة، فإن البعض ممن شارك في كربلاء - كما نقل - كان من أصحاب علي عليه السلام ولكن بلغ سوء العاقبة بهم إلى أن شركوا في قتل إمام زمانهم!!.. وهؤلاء كثيرون طوال التاريخ ممن صدر اللعن في حقهم من قبل أئمة الهدى، والذين كانوا يوماً في ركابهم!!.. فلا بد من أن يراعي كل فرد منا هذه البذور الخفية للانحرافات العظمى في الحياة - وخاصة في حقل العقائد - فإن من سمات آخر الزمان هو المسخ الفكري الذي نعتقد أن من أسبابه: المعاصي الكبيرة، معاشررة المنحرفين، أكل السحت، طلب الدنيا بالدين، الاستماع إلى زخرف القول الذي يلقيه الشيطان لأوليائه، كما ذكر القرآن قائلاً: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ^ط﴾ (١).

٥٩ - درس الاستقامة

إن من الدروس المهمة للحركة العاشورائية هو درس

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

الاستقامة والثبات في سبيل المبادئ والأهداف ومن هنا شبيبت المصطفى ﷺ آية من سورة هود وهي آية ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(١)، ومن المعلوم أن الذي يريدون أن يحققوا الأهداف الكبرى في الحياة فإنه لا بدّ من جعل الهمة على مستوى تلك الأهداف، إذ على قدر أهل العزم تأتي العزائم. . . والذي لا يريد من الدنيا إلا الاستمتاع بالأجوفين أي بشهوة البطن والفرج فإنه من الطبيعي أن يتحوّل إلى ما يصفه علي عليه السلام: «كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلّة شغلها تقمّمها!!»^(٢).

٦٠ - الحركة الخالقية والمخلوقية

إن في نهضة الحسين عليه السلام درس الجمع بين الحركة الخالقية والمخلوقية، بمعنى أن الإمام عليه السلام الذي يعيش في صلب الحركة الاجتماعية، وفي تعامل وثيق مع الخلق إلى درجة الخروج على طاغية عصره، بكل ما استلزمه هذا الخروج من بذل للنفس والنفيس وتعريض للأهل والعيال لصنوف الأذى والتعذيب، إلا أنه يسجّل لنا أرقى المشاعر العاطفية في تعامله مع ربّه، فهو الذي يناجي ربّه بمناجاة قلّ مثلها في تراث الإنسانية عندما وقف بأرض عرفة وعيناه تذرفان كأفواه القرب، وهو الذي لم يترك هذه المناجاة وهو بأرض نينوى يذرف آخر قطرات دمه في سبيل الله تعالى وهو يستغيث برّبّه بأروع صور

(١) سورة هود: الآية ١١٢.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

الالتجاء حيث يؤكّد في الساعات الأخيرة من حياته على مبدأ التوحيد وأنه لا معبود له سوى ربّه . . والفخر كل الفخر أن يجمع العبد بين الحركتين، فلا يطغي واحدة على حساب آخر، فلا يذهله العمل مع الناس عن إحساسه بالمعية الدائمة مع المولى، كما لا يبعده الأنس مع خالقه عن حمل هموم الناس والتفاعل مع آلامهم فإن الخلق عيال الله تعالى وأحبّ الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعياله .

٦١ - درس الانقياد

إن في حياة الحسين عليه السلام درس الانقياد لولي أمر زمانه، فهو رغم أنه إمام للخلق وريحانة رسول الله، وسيّد شباب أهل الجنة . . كل ذلك في درجة مساوية لأخيه الحسن عليه السلام إلا أنه كان يراعي التقدير الربّاني الذي جعل الحسين عليه السلام مأموماً لأخيه الحسن عليه السلام أيام حياته المباركة فلم يتقدّم عليه بقول أو فعل، حتى في تلك المحنة التي جعلت الإمام يصلح خصمه معاوية . . ومن هنا يعلم أن الانقياد والاستسلام لرأس الهرم الذي يتمّ تعيينه من السماء من أولى سمات العبد الذي يريد أن يثبت عبوديته بين يدي ربّه . . وما وقعت المآسي في الأمة إلا من خلال التنكّب لهذه الحاكمية المطلقة!

٦٢ - درس الأبديّة

إننا نستفيد من حركة الحسين عليه السلام درس الأبديّة والخلود، فإن الله تعالى لم يقيد نفسه بعالم الأسباب وإن قيّد عباده بذلك،

إذ له الحق متى شاء أن يخرم الأسباب ويسوقها في اتجاه معاكس لمقتضاها كما كان الأمر كذلك لخليله إبراهيم عليه السلام حيث سببت النار سبباً معاكساً للطبيعة النارية فإن جاعل الأثر هو رافعه متى شاء، ومن الواضح أنه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون . . . وعليه فمن يريد أن يدخل عالم الأبدية والخلود بمعنى البحث عن امتداد له بعد الموت، فعليه أن يربط الفاني من نشاطه بالباقي في عطائه، فهو الباقي بذاته أصالة والمبقي لغيره تبعاً . . . ومن هنا صارت الواقعة في يوم الطف والتي لم تستمر إلا ساعات من يوم واحد وفي أرض قتالية محدودة، وإذا بها أصبحت كالواقعة التي ليست لوقعتها كاذبة في حياة الأمم التي لا تدين حتى بدين الإسلام لأن الحسين عليه السلام أراد أن يثبت للإنسانية أن حياة الإنسان بتحقيق لوازم الإنسانية فإذا منع منه الإنسان انتفى جدوى البقاء إذ الله تعالى أراد أن يجعل في الأرض خليفة فإذا انتفت القدرة على ممارسة الخلافة كما أرادها صاحبها فلا فلسفة للحياة في الأرض !! . . . وما هذه الحركة التي تتسم بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلا فرع من تلك الحركة التي بدأت كي لا تنتهي، إلا عندما يستلم الإمام المهدي عليه السلام راية جدّه التي سقطت يوم الطفوف، ليرفعها خفاقة في أرجاء المعمورة، ولا عجب أن ينادي يوم خروجه ليجعل من أوليات أهداف خروجه المبارك المطالبة بذلك الدم الزاكي الذي لم يثار ولا يثار له ربّه إلا في عصر ظهوره عليه السلام حيث ينادي: ألا يا أهل العالم إن جدي الحسين قتلوه عطشاناً! . . . ألا يا أهل العالم

إن جدي الحسين سحقوه عدواناً! .. ألا يا أهل العالم أن جدي الحسين تركوه عرياناً! .

٦٣ - جانب السيرة العملية

لا ينبغي التركيز فقط على جانب المأساة، مع إهمال أو عدم إعطاء جانب السيرة العملية المستوحاة من حركة الشهادة حقها، فإن الحسين عليه السلام عبرة بمعنى الاعتبار والتأسي قبل أن يكون عبرة بمعنى البكاء والندبة، كما أن القرآن عندما يذكر جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله فإنه يقدمه للأمة كمشروع يمكن أن يُحتذى به في شتى أبعاد الحياة.. ولئن كانت العبرة مركزة في أيام معدودات من الشهر، فإن مجال العبرة مفتوحة طوال العام، بل إلى ساعة لقاء الله تعالى.. ومن هنا يعظم دور الرساليين في هذا الموسم، ليمنهجوا الناس على هذا المنهج الذي لو رُوج له - كما يُراد له - لعمّ الخير كل طبقات الأمة.

٦٤ - استغلال المراكز الحسينية

إن من الضروري استغلال المراكز الحسينية كالمآتم وغيرها من أجل التوعية العامة الشاملة، وخاصة في غير مواسم العزاء، وخاصة مع انتشار مثل هذه المراكز في أقصى القرى النائية في البلاد مما يجعلها أشبه شيء بفروع صغيرة لجامعة كبرى.. ولا ينبغي أن ننسى أنه قد سجّل في التاريخ أن أصحاب الحسين عليه السلام كان لهم دوي كدوي النحل ليلة العاشر: تلاوة للقرآن، ومناجاة للرحمن.. فلماذا لا تكون

هذه المراكز مصدر إشعاع في هذا المجال، ترويحاً لكلّ معالم الشريعة بما فيها القرآن الكريم والفقه والعقائد وسيرة الأَطْهَرِينَ عليهم السلام ولو تحوّلت هذه المآتم - إلى جانب إقامة العزاء - إلى معاهد لتثقيف روادها لربينا جيلاً من الداعين إلى الله تعالى والسائرين في ركب الحسين عليه السلام بكل ما للكلمة من معنى .

٦٥ - التحذير من استغلال البسطاء

ينبغي التحذير من استغلال بساطة وبراءة بعض النفوس من أجل استعبادها واستنزافها مادياً، وذلك ببعض الدعاوى الغريبة التي لم يَقم عليها دليل، كادعاء الشهود والمنامات وبعض صور توهم الكرامة وغير ذلك ممّا لا يورث اليقين، وخاصة عندما يكون المدعي على مستوى لا يُعتدّ به من الإيمان والتقوى، وهذا بدوره يوجب زعزعة الإيمان بالعقائد الحقّة عند قياسها بمثل تلك الدعاوى الزائفة . . وإننا في الوقت نفسه لا ننكر بأنّ الله تعالى يظهر كرامة أوليائه بين وقت وآخر لحكمة بالغة ولكن لا على نحو ما يدّعيه بعض البسطاء أو الأدعياء! .

٦٦ - تعميم مراكز التأثير

إن من اللازم السعي لنقل معالم هذه الحركة المباركة إقامة للعزاء وتنويراً للأذهان للمعاهد الثقافية كالجامعات وغيرها . . إذ من الممكن أن لا يأنس البعض ببعض المظاهر، فلماذا لا نفتحم ميادين المجتمع المتنوعة لبذر بذور هذه الشعائر في تلك النفوس

التي لو نبتت فيها هذه البراعم المباركة لقضت على الكثير من الباطل في نفوسهم، وخاصة مع ملاحظة الجاذبية التي هي شبيهة بالإعجاز في نفوس المعتقدين بشيء من خط الإمامة.. فليس من الطبيعي أبداً أن يتفاعل الإنسان بحادثة في عمق التاريخ وكأنها بنت يومها بحيث ينسى الإنسان مصائبه القريية عندما يهمل هلال الشهر الحرام!

٦٧ - ثمرة الحب الصادق

إن ثمرة الحب الصادق الذي يُراد إظهاره من خلال الزيارة، هو الاتباع الصادق مصداقاً لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾^(١) فإن الحب حالة وجدانية تربط المتحابين، وهي فرع التسانخ الباطني فيما بينهما، وهذا بدوره يستلزم التسانخ العملي في ساحة الحياة، إذ إن المحب الصادق لا بد وأن يتشبهه بالمحبيب في شتى الأبعاد، وإلا كان عدواً لمن يدّعي حبه في مقام العمل.. ومن هنا جاز أن يصف الربّ عبده بالكذب والخداع، عندما يدّعي العبودية والاستعانة في فاتحة صلاته!.. ولتقس على ذلك باقي صور الادّعاء.

٦٨ - التذكير بأيام الله تعالى

إننا في الوقت نفسه الذي ندعو المؤمنين الملتفتين حول راية الإمام الشهيد سواء في مجال الفكر أو المشاعر، بجانب حفظ

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

الشعائر التي تربّت عليها الأجيال الموالية طوال التاريخ، والتي هي بلا شك مطابقة لعمومات الكتاب والسُّنة الداعية إلى: التذكير بأيام الله تعالى، وتعظيم الشعائر، والدعوة إلى سبيل الله، والعمل على مودة ذوي القربى، وغير ذلك من النصوص النبوية والولاية الصريحة في رجحان بل لزوم إحياء ذكر أبي الأحرار عليه السلام فإننا - في الوقت نفسه - ندعو إلى ابتكار الأساليب الحديثة في هذا المجال.. فإن الطرق المؤثرة لنقل الفكرة والمشاعر تختلف من جيل إلى جيل، لأن أدوات التأثير تتناسب مع طبيعة كل جيل تبعاً لتطور المستوى الفكري والعاطفي لديهم.



الفهرس

المقدمة ٥

الوصايا الأربعون في السَّير إلى الله تعالى

- ١ - إخلاص النيّة ٧
- ٢ - وضوح الخطة والجادة ٧
- ٣ - لزوم التحلّي بالصبر ٨
- ٤ - التدبير والتقدير ٨
- ٥ - الشمولية والموازنة ٩
- ٦ - الكذب في التقرب ٩
- ٧ - الأُنس بالقرآن ١٠
- ٨ - عدم الإحساس بالتميّز ١٠
- ٩ - الكدح والمجاهدة ١١
- ١٠ - تقوية البنية العلمية ١١
- ١١ - المزاجية في التعامل ١١
- ١٢ - لزوم المشورة ١٢

- ١٣ - حالات التذبذب ١٢
- ١٤ - دور الصلاة ١٣
- ١٥ - المراقبة الشديدة ١٤
- ١٦ - الشكورية مع الحق والخلق ١٤
- ١٧ - الاستغفار الدائم ١٤
- ١٨ - الثاقل من الخلق ١٥
- ١٩ - الانشغال مع الغافلين ١٥
- ٢٠ - الابتلاء من السنن ١٦
- ٢١ - لحظات الخلوة ١٦
- ٢٢ - الرفق بالنفس ١٧
- ٢٣ - حلية المكسب والمأكل ١٧
- ٢٤ - رعاية الولي الأعظم ١٧
- ٢٥ - التأثر الشعوري ١٨
- ٢٦ - المحطات العبادية ١٨
- ٢٧ - كتمان الحالات ١٩
- ٢٨ - سير الصالحين ١٩
- ٢٩ - موجبات الالتهاة ٢٠
- ٣٠ - الإكثار من القول ٢٠
- ٣١ - البرمجة الدقيقة ٢٠
- ٣٢ - الثمار المعجلة ٢١
- ٣٣ - خبرة الشيطان ٢١

٣٤ - النوافل والجماعة	٢٢.....
٣٥ - طول الأمل	٢٢.....
٣٦ - التكامل للجميع	٢٢.....
٣٧ - توزيع الاهتمام	٢٣.....
٣٨ - مرور الفرص	٢٣.....
٣٩ - قضاء الحوائج	٢٤.....
٤٠ - هداية الآخرين	٢٤.....

الوصايا الأربعون في الحياة الزوجية السعيدة

١ - واقع الزواج	٢٦.....
٢ - المرأة تُطلب لأمر	٢٦.....
٣ - خلود الحياة الزوجية	٢٧.....
٤ - مباركة الحقّ للحياة الزوجية	٢٨.....
٥ - الوصف الإيماني لا الشخصي	٢٨.....
٦ - تحديد تحرك المرأة	٢٩.....
٧ - الثابت والمتغير في السعادة	٢٩.....
٨ - الجميلة والمليحة	٣٠.....
٩ - التوافق الثقافي	٣٠.....
١٠ - خضراء الدمن	٣٠.....
١١ - اختيار مدرسة للأجيال	٣١.....
١٢ - قيمومية الرجل	٣١.....

- ١٣ - انتقال الصفات الوراثية ٣١
- ١٤ - من أسباب تعجيل الطلاق ٣٢
- ١٥ - القابلية لا الرصيد ٣٢
- ١٦ - الابتعاد عن مصادر التوتر ٣٢
- ١٧ - تحاشي ساعة الغضب ٣٣
- ١٨ - آثار الطلاق ٣٣
- ١٩ - تحاشي الخلاف العلني ٣٣
- ٢٠ - الخلاف يسلب التركيز ٣٤
- ٢١ - الاحتكام إلى الشرع ٣٤
- ٢٢ - تأمين الزوج للنفقة ٣٥
- ٢٣ - تزين المرأة والرجل ٣٥
- ٢٤ - مناقشة القضايا ٣٥
- ٢٥ - موقع الزوج في الهدية ٣٦
- ٢٦ - الضوابط لصالح الزوجين ٣٦
- ٢٧ - عدم توقع المثالية ٣٦
- ٢٨ - الآداب قبل الزواج وبعده ٣٧
- ٢٩ - اقتصاد الزوجة ٣٧
- ٣٠ - سرعة الاعتذار ٣٧
- ٣١ - عدم الموعظة حال الغضب ٣٨
- ٣٢ - الإهداء سُنَّةٌ محمودة ٣٨
- ٣٣ - الصرف على الزينة ٣٨

- ٣٤ - القناعة بما قسم الله ٣٩
- ٣٥ - الهجرة إلى بلاد الكفر ٣٩
- ٣٦ - ترويح الزوجة ٣٩
- ٣٧ - التثقيف الذاتي ٤٠
- ٣٨ - مراقبة الزيارات العائلية ٤٠
- ٣٩ - حفظ الأسرار الزوجية ٤٠
- ٤٠ - الغيرة وسوء الظن ٤١

الوصايا الأربعون

في الآداب الباطنية للحجّ الإبراهيمي

- ١ - حقيقة الحج ٤٢
- ٢ - أمير الحاج ٤٢
- ٣ - الولاية والبراءة ٤٣
- ٤ - العُسل والتوبة ٤٣
- ٥ - واقع التلبية ٤٤
- ٦ - مواطن التخير ٤٤
- ٧ - مكة والمشروع الإلهي ٤٤
- ٨ - ثوب الإحرام ٤٥
- ٩ - التجرد في الميقات ٤٥
- ١٠ - فلسفة تروك الإحرام ٤٥
- ١١ - الحركة الباطنية ٤٦
- ١٢ - استجابة الدعاء ٤٧

- ١٣ - حرمة ضيوف الرحمان ٤٧
- ١٤ - الهدية سنة حسنة ٤٧
- ١٥ - تخليد الذكر ٤٨
- ١٦ - هوى القلوب ٤٨
- ١٧ - سلمية المؤمن ٤٨
- ١٨ - أنواع الحج ٤٩
- ١٩ - عرفة وغاية العطاء ٤٩
- ٢٠ - الحج والاستغناء ٥٠
- ٢١ - آثار الحج في الآخرة ٥٠
- ٢٢ - التوفير لسفر الحج ٥١
- ٢٣ - أثر الحج على الغير ٥١
- ٢٤ - نور الحج ٥١
- ٢٥ - حلية مال الحج ٥٢
- ٢٦ - إخلاص النية ٥٢
- ٢٧ - خدمة الحجاج ٥٣
- ٢٨ - الإنفاق في الحج ٥٣
- ٢٩ - خدمة ذوي الحاج ٥٤
- ٣٠ - المراقبة في الموسم ٥٤
- ٣١ - الوسوسة في الأعمال ٥٤
- ٣٢ - بيت الله تعالى ٥٥
- ٣٣ - سرّ الأعداد ٥٥

- ٣٤ - رمزية الطواف ٥٦
- ٣٥ - الإمامة والحجّ ٥٦
- ٣٦ - أصنام الظاهر والباطن ٥٦
- ٣٧ - زيارة المصطفى ﷺ ٥٧
- ٣٨ - جامعة الحجّ ٥٧
- ٣٩ - حرص الحاج ٥٨
- ٤٠ - أثر القبول ٥٨

الوصايا الأربعون

في الآداب الباطنية لزيارة المعصوم

- ١ - علامة القبول ٥٩
- ٢ - معنى الزيارة ٥٩
- ٣ - النيابة في الزيارة ٥٩
- ٤ - الزيارات المأثورة ٦٠
- ٥ - أنظف الثياب ٦٠
- ٦ - الانشغال بالذكر ٦٠
- ٧ - استغلال ساعات الفراغ ٦١
- ٨ - الاطلاع على سيرتهم ٦١
- ٩ - الحديث المسترسل ٦٢
- ١٠ - المراقبة طوال الوقت ٦٢
- ١١ - توسعة القابلية ٦٢
- ١٢ - احترام رفقة الطريق ٦٣

- ١٣ - الالتفات لمقام الإمامة ٦٣
- ١٤ - التبعّد الشرعي ٦٣
- ١٥ - لعلّها الزيارة الأخيرة ٦٣
- ١٦ - التنويع في موجبات الفيض ٦٤
- ١٧ - العبرة بالكيف ٦٤
- ١٨ - انتخاب أيام الزيارة ٦٤
- ١٩ - التصدّق على الفقراء ٦٥
- ٢٠ - الاستغفار المركز ٦٥
- ٢١ - طلب المقامات العالية ٦٥
- ٢٢ - عدم سلب العطاء ٦٦
- ٢٣ - اختيار مناسبات الزيارة ٦٦
- ٢٤ - أفضل الزيارات ٦٦
- ٢٥ - حلّية مال الزيارة ٦٧
- ٢٦ - الاستحلال من الخلق ٦٧
- ٢٧ - اجتناب الغافلين ٦٧
- ٢٨ - الوساطة في جلب الزائرين ٦٨
- ٢٩ - مراعاة آداب الزيارة ٦٨
- ٣٠ - ذكر مصائبهم ٦٨
- ٣١ - صلاة أول الوقت ٦٩
- ٣٢ - الشكوى من قسوة القلب ٦٩
- ٣٣ - زيارة أهل القبور ٦٩

- ٣٤ - الاحتراز من الأسواق ٧٠
- ٣٥ - الهمم الأوحده ٧٠
- ٣٦ - الصلوات المأثورة ٧٠
- ٣٧ - استصحاب الإقبال ٧١
- ٣٨ - العزم على ترك المعاصي ٧١
- ٣٩ - عدم التعويل على الحالات القلبية ٧١
- ٤٠ - الإكثار من دعاء الفرج ٧٢

الوصايا الاربعون

في الآداب الباطنية لإحياء الشهر الكريم

- ١ - عظمة ليلة القدر ٧٤
- ٢ - ليلة القدر وحركة الحياة ٧٤
- ٣ - الاستعداد ليلية القدر ٧٥
- ٤ - الاهتمام بالجانب الكيفي ٧٥
- ٥ - الجمع بين الخلوة والجلوة ٧٥
- ٦ - الاهتمام بدعاء الفرج ٧٦
- ٧ - علامة القبول ٧٦
- ٨ - التحليق التصاعدي ٧٦
- ٩ - كتابة السعادة الأبدية ٧٧
- ١٠ - ملكوت ليلة القدر ٧٧
- ١١ - إقبال الشهر ٧٨
- ١٢ - الانتساب إلى العظيم ٧٨

- ١٣ - طلب التوفيق ٧٩
- ١٤ - رمزية الصوم ٧٩
- ١٥ - الصلاة هي المحطة الكبرى ٨٠
- ١٦ - البُعد الفردي والاجتماعي ٨٠
- ١٧ - الشعار الأكمل ٨١
- ١٨ - نوعا ختمة القرآن ٨١
- ١٩ - حلية المأكل والمشرب ٨٢
- ٢٠ - استغلال الوقت ٨٢
- ٢١ - الإخلاص في الإطعام ٨٢
- ٢٢ - مراقبة النظر ٨٣
- ٢٣ - التملّي من الطعام والشراب ٨٤
- ٢٤ - الجوع وسوء الخلق ٨٤
- ٢٥ - تصفية الحسابات ٨٥
- ٢٦ - الدعاء ان المميزان ٨٥
- ٢٧ - التعبير القرآني عن القدر ٨٥
- ٢٨ - حقيقة سلامة الليلة ٨٦
- ٢٩ - حقائق الليالي الثلاث ٨٦
- ٣٠ - مقياس التوفيق ٨٧
- ٣١ - التأسي بالنبي ﷺ ٨٧
- ٣٢ - ألطاف صاحب الأمر ٨٧
- ٣٣ - استقبال المقدرات ٨٨

- ٣٤ - التهيئة النفسية ٨٨
- ٣٥ - الرحمة النازلة على الجماعة ٨٩
- ٣٦ - ثمرة التقوى ٨٩
- ٣٧ - حرمان بعض الصائمين ٩٠
- ٣٨ - الواجب الاجتماعي ٩٠
- ٣٩ - الضبط من أول الشهر ٩١
- ٤٠ - ربيع القرآن ٩١
- ٤١ - اللحظات الأخيرة ٩٢
- ٤٢ - شهر الانتقام ٩٣
- ٤٣ - سرف يوم العيد ٩٤
- ٤٤ - الرضوان والغفران ٩٤
- ٤٥ - عبادية النوم ٩٥
- ٤٦ - قبول العمل ٩٥
- ٤٧ - أفضل شهر مر علينا ٩٥
- ٤٨ - الدعاء ساعة الإفطار ٩٦
- ٤٩ - انتساب الشهر الى الله تعالى ٩٧
- ٥٠ - التقييم في أول الشهر ٩٧

الوصايا الاربعون

في الآداب الباطنية لمجالس الحسين عليه السلام

- ١ - الرصيد الفكري ٩٩
- ٢ - فلسفة الحركة ٩٩

- ٣ - بركات الموسم ١٠٠
- ٤ - فقه الآفات ١٠٠
- ٥ - فقد المكاسب ١٠١
- ٦ - حمل همّ الأمة ١٠٢
- ٧ - التعرّض للهبات ١٠٣
- ٨ - الفقه الظاهري والباطني ١٠٤
- ٩ - القربة الخالصة ١٠٤
- ١٠ - ذكرهم ذكر الله تعالى ١٠٥
- ١١ - الاستعداد لدخول المجلس ١٠٥
- ١٢ - توقيير المكان ١٠٦
- ١٣ - استخلاص النقاط العملية ١٠٦
- ١٤ - إثارة الأجواء ١٠٧
- ١٥ - التباكي بدلاً من البكاء ١٠٧
- ١٦ - استمرار قسوة القلب ١٠٨
- ١٧ - استغلال ساعة الدعاء ١٠٨
- ١٨ - تنوّع المجالس ١٠٩
- ١٩ - التفرّغ لعزاء الحسين عليه السلام ١٠٩
- ٢٠ - الاستعانة بالمسموعات ١١٠
- ٢١ - الشحن الفكري والعاطفي ١١٠
- ٢٢ - علامة القبول ١١١
- ٢٣ - اصطحاب الأهل ١١١

- ٢٤ - الاسترسال بعد المجلس ١١٢
- ٢٥ - الحضور طلباً للحوائج ١١٢
- ٢٦ - تقديم العزاء للصاحب عليه السلام ١١٣
- ٢٧ - ضريبة تمنى الولاية ١١٣
- ٢٨ - تنوع العناصر ١١٤
- ٢٩ - عشرة التوجه ١١٤
- ٣٠ - الحق العظيم للإمام ١١٤
- ٣١ - تجسيد الحب ١١٥
- ٣٢ - مشاطرة الأنبياء ١١٥
- ٣٣ - ذوبان الذاتيات ١١٦
- ٣٤ - إخلاص الأصحاب ١١٦
- ٣٥ - إكمال القابليات ١١٦
- ٣٦ - صور نادرة للفداء ١١٧
- ٣٧ - الولاء المذهل ١١٧
- ٣٨ - عدم انتهاء المعركة ١١٨
- ٣٩ - رمز الطاعة ١١٩
- ٤٠ - أثر البعد عن الولاية ١١٩
- ٤١ - العبودية المطلقة ١٢٠
- ٤٢ - الحرص على الدعوة ١٢٠
- ٤٣ - الارتباط بمبدأ الخلود ١٢١
- ٤٤ - كيفية الإحياء ١٢١

- ٤٥ - جذور الدمعة ١٢٢
- ٤٦ - موقفية البكاء ١٢٢
- ٤٧ - صدمة الدم ١٢٣
- ٤٨ - المنهج المتكامل ١٢٣
- ٤٩ - فروع الجامعة الكبرى ١٢٤
- ٥٠ - التجانس بين العشرات ١٢٤
- ٥١ - العقوبات في عالم القلوب ١٢٥
- ٥٢ - إعادة التقييم ١٢٥
- ٥٣ - درس العبودية ١٢٦
- ٥٤ - الإفاقة بالدم ١٢٧
- ٥٥ - الجمع بين العمّة والدعوة ١٢٧
- ٥٦ - الشبه بين الحسين والخليل عليه السلام ١٢٨
- ٥٧ - إتمام الحجة ١٢٨
- ٥٨ - سوء العاقبة ١٢٩
- ٥٩ - درس الإستقامة ١٢٩
- ٦٠ - الحركة الخالقية والمخلوقة ١٣٠
- ٦١ - درس الانقياد ١٣١
- ٦٢ - درس الأبدية ١٣١
- ٦٣ - جانب السيرة العملية ١٣٣
- ٦٤ - استغلال المراكز الحسينية ١٣٣
- ٦٥ - التحذير من استغلال البسطاء ١٣٤

- ١٣٤..... ٦٦ - تعميم مراكز التأثير
- ١٣٥..... ٦٧ - ثمرة الحب الصادق
- ١٣٥..... ٦٨ - التذكير بأيام الله تعالى

